

إعجـــاز القـــرآن وأثـــره في

تحقـيق الأمـن النفسي

إعداد الدكتور:

ربيع يوسف شحاته الجهمي

أستــاذ التفســير وعلوم القرآن المساعــد في

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالإسكندرية




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية





مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

ملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،،

فهذا بحث بعنوان (أثر إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي للفرد والمجتمع) تناول فيه الباحث إعجاز القرآن الكريم وأثره في النفوس، وعظم صنيعه في القلوب، وقدرته على تحقيق الأمن النفسي لأفراد المجتمع بنقلهم من الشك إلى اليقين، ومن القلق والاضطراب إلى الأمن والاطمئنان، ومن الضلال إلى الهداية، ومن الانحطاط إلى الرقي والرفعة، ومن الظلم إلى العدل.

ودلل الباحث بالأمثلة العملية والواقعية على أن القرآن الكريم منبع الهداية، وموطن السكينة، وراحة النفس، وطمأنينة القلب، ولذة الفؤاد، وهذا من أجلّ وأعظم القيم المجتمعية التي جاءت بها رسالة الإسلام، لتبني مجتمعا سليما آمنا مطمئنا خاليا من القلق والاضطراب على ماضيه وحاضره ومستقبله، لأنه لا سعادة ولا هناءة للإنسان بدون ذلك، مهما زاد غناؤه وعظم ثراؤه.

كما دلل على أن القرآن الكريم معجز من كل جوانبه، فهو يحقق الأمن النفسي والراحة القلبية بألفاظه ومعانيه وأسراره و علومه، وبإعجازه الذي لا تنتهي وجوهه ولا تتناهى مع تفاوت في التأثير، غير أن الإعجاز هو الباب الأعظم لهذا التأثير في النفوس والقلوب.



The Miraculous Aspect of Qur'an and its impact upon Psychological Safety

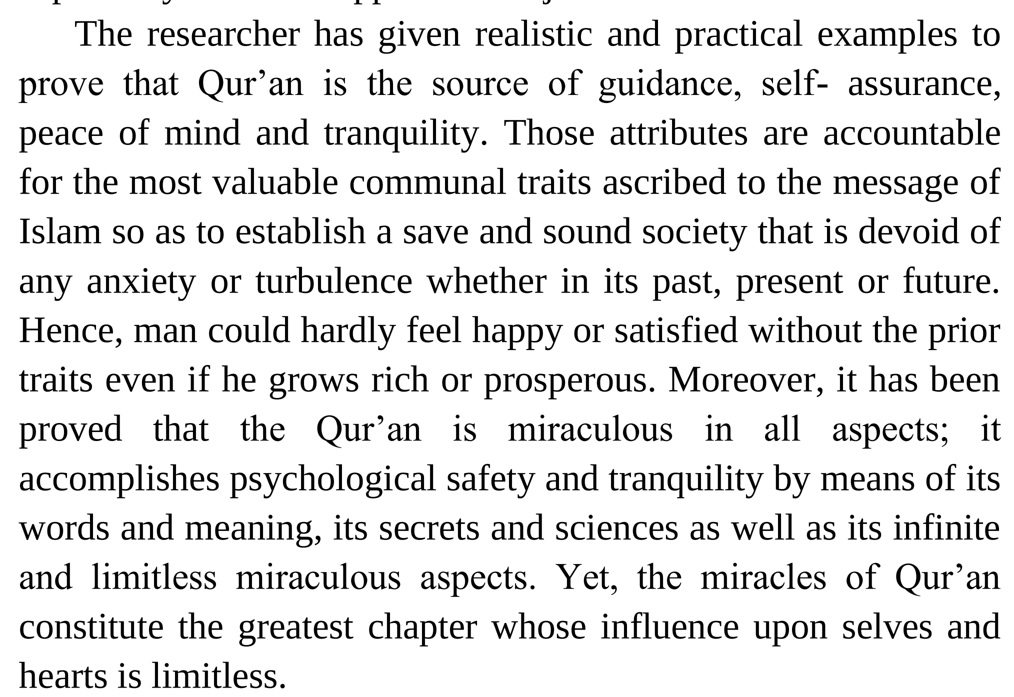
By: Dr. Rabea Youssef Shehata Al-Jahmy

Professor of Hermeneutics and Qur'an Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies (Females Branch) in Alexandria



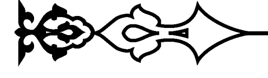
Abstract

This research handles the miraculous aspect of Qur'an and its impact upon selves and hearts as well as its ability to achieve psychological safety for all members of the society through helping them to move from doubt to certainty, from anxiety and turbulence to safety and self- assurance, from inferiority to superiority and from oppression to justice.



The researcher has given realistic and practical examples to prove that Qur'an is the source of guidance, self- assurance, peace of mind and tranquility. Those attributes are accountable for the most valuable communal traits ascribed to the message of Islam so as to establish a save and sound society that is devoid of any anxiety or turbulence whether in its past, present or future. Hence, man could hardly feel happy or satisfied without the prior traits even if he grows rich or prosperous. Moreover, it has been proved that the Qur'an is miraculous in all aspects; it accomplishes psychological safety and tranquility by means of its words and meaning, its secrets and sciences as well as its infinite and limitless miraculous aspects. Yet, the miracles of Qur'an constitute the greatest chapter whose influence upon selves and hearts is limitless.

Key words: The miraculous aspects of the Qur'an- psychological safety – The Qur'an is the source of guidance- the impact of miracles of the Qur'an upon selves.



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، وحجته البالغة، ودستوره العظيم، ومعجزته الكبرى الباقية إلى يوم الدين، أنزله الله تعالى على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل، ساد فيها الكفر والضلال، وعم فيها القلق والاضطراب؛ صور النبي صلى الله عليه وسلم حال البشرية في هذا العصر فقال: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ....) الحديث.

فلما أضاء الله الدنيا بنور القرآن فتح به قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صما، وأخرج الناس به من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراط مستقيم. ومن يوم أن نزل القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو منبع الهداية، وموطن السكينة، وراحة النفس، وطمأنينة القلب، ولذة الفؤاد.

ولقد كان لإعجازه أعظم الأثر في النفوس والقلوب، ولا يزال أثره باقيا ما تعاقب الليل والنهار؛ كيف لا، وهو الكتاب الذي "أحكمت آياته، وفصلِّت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كلَّ البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم به وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً، وأشهر في الخطابة رجالاً، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً، بلغتهم التي بها يتحاورون،

صارخًا بهم في كل حين، ومقرعًا لهم بضعًا وعشرين عامًا على رؤوس الملأ أجمعين ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٨]، وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته، أو مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب، من مثل قولهم: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾[المدثر: ٢٤]، وقولهم: ﴿ إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾[الفرقان: ٤]، وقولهم: ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقد قال الله لهم زيادة في التحدي: ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ فما فعلوا، ولا قدروا، بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين ما بين مهتدٍ وبين مفتون"(١).



لقد هالهم إعجاز القرآن الكريم، وهم العرب الخلص، أهل الفصاحة والبيان، وأثَّر فيهم أول ما قرعت آياته مسامعهم، فسيطر على قلوبهم ونفوسهم، فأَمِنت واطمأنت وسكنت للحظات، فنطقت ألسنة بعضهم بالحق، من آمن منهم، ومن لم يؤمن، فللقرآن على القلوب والنفوس سلطان لا يقاوم متى خُلّي بينه وبينها ولو للحظات.

هذا، ولم يكن أثر الإعجاز قاصرا على عصر التنزيل، بل إنه ممتد إلى قيام الساعة، ولهذا نراه واضحا فيمن اعتنقوا الإسلام على مر التاريخ، لقد حقق في نفوسهم أمنا لولاه ما أسلموا، ضرورة أن أحدا لم يؤمن مكرها، فديننا دين الحجة والبرهان، الذي لم يكره أحدا على الدخول فيه، والله تعالى يقول: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. لقد بهرهم إعجازه فآمنوا مقتنعين أنه وحي إلهي. اطمأنوا إلى إعجازه، فسكنت نفوسهم، وأيقنوا أنهم في يد أمينة لا تَكْذبهم في شيء، ولا تريد لهم إلا الخير.

ولا يزال لإعجاز القرآن أعظم الأثر في تحقيق الأمن في نفوس المؤمنين في كل عصر ومصر؛ فوجوه إعجازه متجددة كل يوم، ولا يبلى من قديم، يدلنا على ذلك مواكب العلماء

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ١/ ٢٦٠، ٢٦١، بتصرف واختصار.

والباحثين وعامة الناس الذين يقبلون على الإسلام كل يوم، منبهرين بإعجازه، مهتدين بأنواره.

ولهذا أجزم القول بأن العلم بإعجاز القرآن ومدارسة وجوهه يُطَمْئن القلوب ويؤمِّن النفوس؛ فتزداد ثقة المؤمن في ربه سبحانه، ويقوى يقينه بدستور دينه وحياته كلما عاين وجوه الإعجاز وانقدحت في ذهنه وقلبه؛ فيحيا مطمئن القلب، صحيح النفس، ثابت اليقين؛ ضرورة أن الإنسان لا يطمئن لدين لا حجة عليه!!! فإذا كانت الحجة قائمة أبد الدهر تحرس هذا الدين؛ فهاهنا الأمن والأمان.

إننا في حاجة ماسة إلى العلم بإعجاز القرآن ومدارسة وجوهه، لتزداد ثقتنا في كتاب ربنا، فتتنعم نفوسنا بالأمن وقلوبنا بالاطمئنان؛ خاصة في هذا الزمان الذي كثر فيه القلق والتوتر والاضطراب، ونشد كثير من المسلمين الأمن النفسي في ماديات الحياة، جهلا بالدين، أو تقليدا أعمى لعادات سرت بليل إلى مجتمعنا من العالم الغربي، الذي فشل فشلا ذريعا في تحقيق الأمن النفسي لأفراده، فزادت عندهم حالات الانتحار والأمراض النفسية؛ رغم تقدمهم العلمي والتكنولوجي العجيب؛ ذلك لأن أهم زاوية في قلوبهم ونفوسهم بقيت فارغة، وإن تظاهروا بالتمام والكمال، إنها زاوية الدين الحق، المؤيد بالمعجزة الحاضرة القائمة، الذي تطمئن النفوس إليه كامل الاطمئنان، وتحيا في رحابه حياة العز والشرف والنعيم، مهما قاست من صروف الزمان.

فالقلق الذي صار يستبد بالناس، والخوف من المجهول، والاكتئاب، والإحباط، وعدم الرضا، كادت جميعا أن تعصف بكثير من الناس، لولا بقية من إيمان حفظت على الناس دينهم وأمنهم؛ فوجب الرجوع إلى القرآن الكريم، لبعث الطمأنينة في القلوب والنفوس، ليحيا المجتمع في أمن نفسي، وسلام روحي.

إن قيمة الأمن النفسي من أعظم القيم، بل من أعظم النعم، والمحافظة عليها من أجل

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

الأعمال، لأنه لا سعادة ولا هناءة للإنسان بدونها، مهما زاد غناؤه وعظم ثراؤه.

ويأتي هذا البحث ليثبت أثر إعجاز القرآن في هذه القيمة العظيمة، التي تعد ضرورة من أهم ضرورات الحياة. وقد جعلته بعنوان: (إعجاز القرآن الكريم وأثره في تحقيق الأمن النفسي).

أسباب اختيار الموضوع:

وكان من أهم أسباب اختياري هذا الموضوع:

١ – توفيق الله تعالى ومشيئته العلية، فهو الذي شرح صدري له وحببه إلى نفسي وذلل لي الصعاب في معالجته.

٢ – الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى.

٣ – خلو المكتبة القرآنية – في حدود علمي – من بحث يتناول هذا الموضوع بالتحديد.

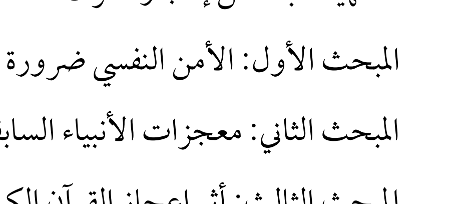
٤ – المشاركة في المؤتمر العلمي الدولي الثاني: (العلوم الإسلامية ودورها في ترسيخ القيم المجتمعية) الذي تعقده كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، بجامعة الأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر .

خطة البحث:

جعلت هذا البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

التمهيد: نبذة عن إعجاز القرآن.

المبحث الأول: الأمن النفسي ضرورة حياتية.



المبحث الثاني: معجزات الأنبياء السابقين وتحقيق الأمن النفسي

المبحث الثالث: أثر إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على المنهجين: التحليلي، والاستنباطي، فحللت النصوص الواردة فيه قدر الإمكان، واستنبطت منها الدلالات التي تتصل بموضوع البحث، وراعيت أثناء ذلك ما يأتي:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها.

٢- تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها، وكذا تخريج الآثار.

٤- ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٦- توثيق النقول والتعليق عليها عند الحاجة لذلك.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يعفو عن تقصيري وزللي، فإني بشر أصيب وأخطئ، فما كان من صواب فمن فضل الله تعالى علي وكرمه، وما كان من خطأ فمن نفسي، ويعلم ربي أني ما تعمدت التقصير، وحسن ظني في الله تعالى أن المجتهد مأجور على الحالين، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [هود: ٨٨].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تمهيـــد
نبذة عن إعجاز القرآن الكريم

أولا: تعريف الإعجاز:

أما في اللغة: فالإعجاز "إفعال" من العجز، قال ابن فارس: "(عَجَزَ) الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ: عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ. وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَجْزَ نَقِيضُ الْحَزْمِ فَمِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَضْعُفُ رَأْيُهُ. وَيَقُولُونَ: " الْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ ". وَيُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ، إِذَا عَجِزْتُ عَنْ طَلَبِهِ وَإِدْرَاكِهِ. وَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهَ - تَعَالَى - شَيْءٌ، أَيْ لَا يَعْجِزُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنْهُ مَتَى شَاءَ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [الجن: ١٢] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [العنكبوت: ٢٢] . وَيَقُولُونَ: عَجَزَ بِفَتْحِ الْجِيمِ"[١].

وأما في الاصطلاح: فإن "إعجاز القرآن الكريم مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجازُ القرآنِ خَلْقَ الله عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودًا لذاته، بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق.

وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء، ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز، ولكن للازمه وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله تعالى. فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر، لحكمة عالية، وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها، ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة"(٢).

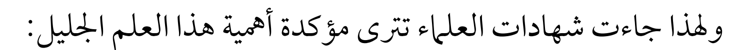
---

(١) مقاييس اللغة: ٤/ ٢٣٢، مادة (عجز). ويراجع: لسان العرب: ٥/ ٣٩٦.



ثانيا: أهمية علم الإعجاز:

لا ريب أن لعلم الإعجاز أعظم الأهمية؛ لأنه العلم الذي يناط به إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي يتناول بيان المعجزة، وإعجاز القرآن الكريم ووجوهه، كما أن إعجاز القرآن الكريم هو الباب الأعظم لدخول الناس في دين الله أفواجًا؛ قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]. وقال ﷺ: (ما من الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعْطِيَ من الآيات ما مثُله آمن عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرهم تابعًا يوم القيامة)[١].



ولهذا جاءت شهادات العلماء تترى مؤكدة أهمية هذا العلم الجليل:

قال الزركشي: "وهو علم جليل، عظيم القدر؛ لأن نبوة النبى ﷺ معجزتها الباقية القرآن، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز"[٢]. وقال السيوطي: "أفرده بالتصنيف خلائق؛ منهم الخطابي[٣]، والرماني[٤]،..

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل: ٨/ ٦١٩، ح (٤٩٨١). عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٩٠.

(٣) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستى، أبو سليمان، فقيه محدث، من كتبه: "بيان إعجاز القرآن". توفى سنة (٣٨٨هـ). يراجع: وفيات الأعيان: ١/ ٤٥٣-٤٥٥.

(٤) هو: على بن عيسى بن على بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، من كبار النحاة، مفسر، معتزلي، من كتبه: "النكت في إعجاز القرآن". توفى سنة (٣٨٤هـ). يراجع: بغية الوعاة: ٢/ ٢٩٤-٢٩٦. وطبقات المفسرين للسيوطي: ص ٦٨، ٦٩.

والزملكاني[١]، والرازي، والقاضي أبو بكر الباقلاني[٢]"[٣]. وقال الشيخ محمد رشيد رضا: "... الكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعًا، وهو من فروض الكفاية"[٤]. وقال العلامة محمود شاكر: "ومعرفة معنى إعجاز القرآن وما هو، وكيف كان، أمر لا غنى عنه لمسلم، ولا لدارس، وشأنه أعظم من أن يتكلم فيه امرؤ بغير تثبت من معناه، وتمكن من تاريخه، وتتبع الآيات الدالة على حقيقته"[٥].

ثالثا: وجوه إعجاز القرآن الكريم:

لقد تبارى علماؤنا الأجلاء - قديما وحديثا - في استنباط وجوه إعجاز القرآن الكريم، وصالوا في ذلك وجالوا، وحققوا وجوها عظيمة، في مؤلفات كثيرة، قدمت خدمة جليلة لكتاب الله تعالى، ومن هذه الوجوه:

(إعجازه في بلاغته وفصاحته، وإعجازه في نظمه وأسلوبه، وإعجاز في إخباره بالغيوب المستقبلة، وإعجازه في إخباره عن القرون السابقة والأمم البائدة، والإعجاز النفسي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي) وغيرها من وجوه الإعجاز.

والذي عليه المحققون من العلماء أن وجوه إعجاز القرآن الكريم لا تنتهي ولا تتناهى، بل يتجدد منها في كل عصر ما يبهر العقول ويأخذ بالألباب. وقد ذكر السيوطي منها في

---

(١) هو: كمال الدين أبو المعالى محمد بن على بن عبد الواحد، الأنصاري الشافعي، ابن خطيب زملكا، ويعرف بابن الزملكاني. من كتبه: "فضائل الملك على البشر". توفى سنة (٧٢٧هـ) يراجع: شذرات الذهب: ٦/ ٧٨، ٧٩.

(٢) ينظر الإتقان: ٢/ ٣٢٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ٣.

(٤) مقدمة الشيخ رشيد رضا لكتاب " إعجاز القرآن " لمصطفى صادق الرافعي ص ١٤.

(٥) مقدمة الشيخ محمود شاكر لكتاب الظاهرة القرآنية، للأستاذ/ مالك بن نبي ص ٢٦، ٢٧. ترجمة الدكتور/ عبد الصبور شاهين، ط دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

كتابه: (معترك الأقران في إعجاز القرآن) خمسة وثلاثين وجها، ثم قال: "... أنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين... والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه"(١).

ومع تعدد وجوه الإعجاز وكثرتها، فإن المحققين من العلماء على أن الإعجاز واقع ومتحقق بكل وجه من الوجوه، فكل وجه منها معجز في ذاته، وحجة في نفسه. قال أبو حيان التوحيدي(٢): "لم أسمع كلامًا أَلْصَق بالقلب وأَعْلَق بالنفس من فصل تكلم به بُندار بن الحسين الفارسي(٣)- وكان بحرًا في العلم – وقد سئل عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: هذه مسألة فيها حيف على المفتي، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جُمْلته فقد حققته، ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آيةً في نفسه، ومَعْجَزةً لمحاوِله، وهدىً لقائله؛ وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده"(٤).

---

(١) معترك الأقران: ١/ ٥، ويراجع: البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٠٦.

(٢) هو: علي بن محمد العباس التوحيدي، فيلسوف، متصوف، معتزلي، من كتبه: "البصائر والذخائر". يراجع: طبقات الشافعية: ٤/ ٢.

(٣) هو بندار بن الحسين الشيرازى، شيخ الصوفية، أبو الحسن، له معرفة بالكلام والنظر، توفى سنة (٣٥٣هـ) يراجع: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١٠٨، ١٠٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٠٠.



المبحث الأول
الأمن النفسي ضرورة حياتية

أولا: مفهوم الأمن:

الأَمْنُ في اللغة: سُكُونُ الْقَلْبِ[1]، وهو ضِدُّ الْخَوْفِ. والأَمْنُ والأَمانُ والأَمانةُ والأَمَنةُ بِمَعْنًى. يقال: أَمِن فلانٌ يأْمَنُ أَمْناً وأَمَنةً وأَماناً فَهُوَ أَمِنٌ، وَقَدْ أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غَيْرِي مِنَ الأَمْن والأَمان[2]. فأصل الأَمْن يدور حول طمأنينة النفس وزوال الخوف[3].

وفي الاصطلاح: عدم توقع مَكْرُوهٍ فِي الزَّمَان الْآتِي[4].

وبناء على ما سبق يعرف الأمن النفسي بأنه: سكون القلب، واطمئنان النفس، وزوال الخوف، وعدم توقع المكروه في المستقبل.

ثانيا: الأمن النفسي ضرورة حياتية:

إن الأمن نعمة عظيمة، وقيمة جليلة، وضرورة حياتية لا يستغنى عنها، فلا يمكن مطلقا أن تقوم حياة إنسانية تنهض بها وظيفة الخلافة في الأرض إلا إذا اقترنت تلك الحياة بالأمن النفسي، الذي يستطيع الإنسان الحياة في ظله وتوظيف ملكاته وإطلاق قدراته، واستخدام معطيات الحياة من حوله لعمارة الأرض.

وللأمن جوانب كثيرة، عامة وخاصة، منها الأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، والأمن النفسي، والأمن العسكري، والأمن الفكري، والأمن الغذائي، هذه الجوانب يمكن

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ١/ ١٣٣. مادة (أمن).

(٢) لسان العرب: ١٣/ ٢١، والقاموس المحيط: ص١١٧٦، ومختار الصحاح: ص٢٢، مادة (أمن).

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص٩٠.

(٤) التعريفات للجرجاني: ص: ٣٧، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ص: ٦٣، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ١/ ١٢٨.



تصنيفها إلى شقين: مادي، وروحي.

ولا ريب أن نعمة الأمن بشقيها المادي والروحي من أعظم نعم الله تعالى؛ إلا أن الجانب الروحي منها هو الأعلى أثرا، والمادي خادم له[١]؛ لأنه النعمة التي يمكن أن يتصبر بها الإنسان عن غيرها، ولا يمكن أن يستغني بشيء عنها، إن مقتضاها طمأنينة وسكينة تملأ قلب المرء، فيزول عنه الخوف والقلق والاضطراب، ويحيا راضيا سعيدا، وإن أصابه ما أصابه.



وقد أثبتت الدراسات النفسية حاجة الإنسان الضرورية للأمن النفسي؛ "فالإنسان منذ أن عرف الحياة بدأ ينشد الأمن النفسي من خلال البحث في موجودات الحياة سعيا لتلبية متطلبات حياته، فهو في سبيل الحصول على الأمن النفسي يحب ويكره، ويكد ويتعب"[٢].

وبينت الدراسات "أن الأمن النفسي يعد من الحاجات الأساسية اللازمة لتحقيق النمو النفسي والاجتماعي السوي، كي يتمتع الفرد بقدر كاف من الصحة النفسية، وأكدت على أن إحساس الفرد بفقدان الأمن النفسي يؤدي إلى الإصابة بالاضطرابات النفسية والقلق والتوتر[٣].

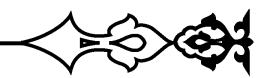
ومما أكدته إحدى الدراسات: أن "الأمن النفسي يعد من الحاجات الهامة لبناء الشخصية الإنسانية؛ وأن جذوره تمتد إلى الطفولة وتستمر حتى الشيخوخة عبر المراحل العمرية

---

(١) مع الاعتراف بأهمية كل الجوانب وأنها تتكامل جميعا لتحقق مفهوم الأمن الكلي.

(٢) الأمن النفسي وعلاقته بالتحصيل لدى طلاب رعاية الأيتام بالرياض، رسالة دكتوراه قدمت لكلية الدراسات العليا / بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، من الباحث: عبد االله حميد حمدان السهلي، غير مطبوعة، ص ٣٤.

(٣) دور الجامعات الفلسطينية في تحقيق الأمن النفسي لدى الطلبة بمحافظة غزة) للدكتور عبد الكريم سعيد المدهون: ص١٢٢. بحث منشور بمجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات – العدد السادس– يناير ٢٠١٤م.



المختلفة، وأن أمن الفرد يصبح مهددا إذا ما تعرض إلى ضغوطات نفسية واجتماعية لا طاقة له بها في أي مرحلة من تلك المراحل، مما يؤدي إلى الاضطراب، لذا كان الأمن النفسي من الحاجات ذات المرتبة العليا للإنسان"[1].



كما أشارت بعض الدراسات إلى أن نقص الأمن النفسي للفرد يرتبط ارتباطا سلبياً بالإصرار على الخطأ، وتصلب الرأي، والجمود العقائدي، والسياسي، دون مناقشة أو تفكير[2].

كما بينت بعض الدراسات أن نقص الأمن النفسي يؤدي إلى التوتر والقلق، ومن أعراضه أمراض القلب والاضطرابات النفسية[3].

فالأمن النفسي إذاً من الحاجات النّفسيّة الضّرورية للفرد وللمجتمع، والتي لا يستغنى عنها بحالٍ من الأحوال، وإلا عاش الفرد والمجتمع في حالة من القلق والاضطراب.

وإن الأمن النفسي يحقق للمرء فوائد عديدة منها:

١- توفير الاطمئنان النفسي والراحة القلبية التي تبعث على الحب والتفاؤل والعمل والاجتهاد في كل النواحي الإيجابية.

٢- حفظ النفس من القلق والاضطراب واليأس والقنوط والإحباط، وسائر الأمراض النفسية التي تعصف بالفرد والمجتمع: فكلما تناقص الأمن لدى النفس انشغلت بضده،

---

(١) بعض المتغيرات الديموغرافية المرتبطة بالأمن النفسي للدكتور: محمد جبر: ص ٨٠، بحث منشور مجلة علم النفس العدد ٣٩ المجلد العاشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م. ويراجع: دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي للدكتور: حامد عبد السلام زهران: ص ٨ وما بعدها، ط عالم الكتب، بالقاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢) دور الجامعات الفلسطينية في تحقيق الأمن النفسي لدى الطلبة بمحافظة غزة: ص١٢٢.

(٣) المصدر السابق: نفس الموضع.

وتعاظمت لديها السلبية، والتفكير في كراهية الآخرين وحب الانتقام[1].

٣- تحقيق الثبات والاستقرار في التفكير: وهذا ما يترجم لنا سمو التفكير الذي كان عليه المسلمون بعد أن تحقق لديهم الإيمان، فقد قدموا لنا نموذجا راقيا في التفكير، امتزجت فيه حقائق الواقع في الحياة الدنيا بطموح المستقبل المتصل بالمصير يوم القيامة، وكثيرا ما كانت تتصل الدنيا بالآخرة في أفكارهم، بل لقد كانت تمر بهم لحظات تختلط حقائق الآخرة معهم بمشاهدات الواقع، وتمر بهم لحظات يحسون خلالها أن مشاهد الواقع تحول أحيانا دون العيش في خيال المستقبل، وهذا ما يترجم لنا مقولة الصحابي الجليل عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ – رضي الله عنه – في إحدى الغزوات: حينما قال رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)، فقَالَ: عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟) قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: (فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ)[2]،[3].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

(١) الأمن النفسي في القرآن الكريم وأثره على فكر الإنسان، للدكتور/ عبد الله بن محمد الجيوسي: ص٧، بتصرف وزيادة. بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري» المفاهيم والتحديات» في الفترة من٢٢- ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد: ٣/ ١٥٠٩، ح (١٩٠١). عن أنس رضي الله عنه.

(٣) الأمن النفسي في القرآن الكريم وأثره على فكر الإنسان: ص٦، ٧.

وقد أخطأ أناس وأخطأت أمم حينما نشدوا الأمن النفسي في تحقيق الحضارة المادية، وأثبت الواقع فشلهم، حيث كثرت في بلادهم حالات الانتحار والأمراض النفسية الناتجة عن القلق والاضطراب، وذلك لأنهم طلبوا غذاء الجسد وأهملوا غذاء الروح، فصارت حياتهم أشبه بالحياة البهيمية.

يقول الدكتور محمد موسى الشريف: "والناظر للأمراض النفسية السارية في الحياة المعاصرة يدرك ضرورة تحقيق الأمن النفسي في واقع الحياة، فالقلق يستبد بالناس والخوف من مجهول قادم يكاد يعصف بهم، هذا فضلا عن الآثار المدمرة التي تهدد من أصبح وأمسى مكتئبا محبطا، غير راضٍ بحاله، ولا سعيد بأيامه.

والعجيب أنه في أرقى دول الأرض اليوم حضارة مادية ما زال القوم قاصرين عن تحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي، فقد كثرت حوادث الانتحار كثرة لافتة للأنظار، وفتحت الآلاف من العيادات النفسية، يؤمها عشرات الملايين من أبناء الحضارة المعاصرة التي لم تفدهم شيئا في تحقيق مقصود الناس الأعظم: الطمأنينة في النفوس والسعادة في القلوب، هذا أمر معلوم من حالهم ومعروف من شأنهم، وكل ما يظهر عليهم من زينة خارجية إنما هي تغليف لتعاسة داخلية، والقوم يعرفون ذلك من أنفسهم ويدركونه تمام الإدراك"(١).

"إن أكثر بلاد العالم تحضراً في العصر الحديث هي الولايات المتحدة الأمريكية، وتعلن نتائج شيوع القلق وانتشاره أرقاماً مفزعة من الجرائم حيث تحدث جريمة قتل كل (٤٣) دقيقة، واغتصاب كل (١٩) دقيقة، وسرقة كل دقيقتين، أما السطو على المنازل فجريمة كل (٢٠) ثانية، وعلى السيارات كل (٤٨) دقيقة، والرقم المفزع اختطاف رجل كل (٢٠)

(١) الأمن النفسي للدكتور محمد موسى الشريف: ص٩، ١٠، ط دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، الثانية، ٢٠٠٣م.

ثانية"[1].

إن كل جريمة وراء صاحبها قلق واضطراب دفعاه إلى ارتكابها، كالخوف من الموت، أو من الجوع، أو من الفقر، أو من المرض، أو غير ذلك، كما أن كل جريمة تزيد من نسبة القلق وتبعث عليه عند الآخرين.

والسبب في ذلك: أن تلك الحضارة قامت على بناء عقل الإنسان دون بناء روحه، فأصبح الإنسان مجرد آلة تسعى لغاية، والغاية تبرر الوسيلة، نجد ذلك على مستوى الأفراد وعلى مستوى الدول، حيث تحصد بعض الدول المتحضرة آلاف الأنفس البريئة لتحقيق ما تزعم أنه أمنها، وقد أعماها الخوف والرعب عن التَبيّن، ولم تستطع بقوتها أن تخلق مجتمعاً آمنا لها فضلاً عن أن تخلقه لغيرها[2].

هذا، والأعجب من ذلك: أن كثيرا من الشعوب الإسلامية تبعتهم في مسلكهم المرذول؛ لابتعادهم عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكادوا يصبحون مثلهم ويسيرون سيرهم، وكثرت في أمتنا الحوادث الغريبة والنفوس المريضة، وهذا جزاء من أعرض عن منهج الله تعالى وذهب يلتمس الهدى في غيره"[3].

بم يتحقق الأمن النفسي:

إن الأمن النفسي لا يتحقق إلا بالإيمان بالله تعالى، واتباع منهجه، لأن في الإيمان بالله تعالى أعظم قوة تمد المؤمن بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة، وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس في عصرنا الذي تسيطر عليه المادة، ويفتقر أهله إلى الغذاء

(١) إحصائية عن الجرائم في الولايات المتحدة الأمريكية في عام: رمزي كلارك، نقلا عن كتاب أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي: ناهد الخراشي ص : ١٧.

(٢) القرآن والأمن النفسي للدكتور: فهد الرومي: ص٣.

(٣) الأمن النفسي للدكتور محمد موسى الشريف: ص١٠.



الروحي، وهذا أمر معلوم في ديننا بالضرورة.

أما الغربيون فلم يدركوا ذلك حتى الآن، وإن تحدث عنه بنو جلدتهم من علماء النفس، وأفاضوا في بيان أهمية الإيمان لتحقيق الأمن النفسي.

فقد أشار المؤرخ (أرنولد توينبي) إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي، وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه هو الرجوع إلى الدين[١].

وقال (وليام جيمس) أحد علماء النفس والفلاسفة الأمريكيين: "إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان". وقال أيضاً: "الإيمان من القوى التي لابد من توافرها لمعاونة المرء على العيش، وفقده نذير بالعجز عن معاناة الحياة". وقال أيضاً: "إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم، فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه تعالى تحققت كل أمنياتنا وآمالنا". وقال أيضا: "إن أمواج المحيط المصطحبة المتقلبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله خليق بأن لا تعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة، فالرجل المتدين حقاً عصي على القلق"[٢].

وقال (بريل) المحلل النفسي: "إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً"[٣].

وقال عالم النفس (كارل يونج): "لم أجد مريضاً واحداً من مرضاي لم تكن مشكلته في أساسها هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية في الحياة. وأستطيع أن أقول إن كل واحد منهم قد

---

(١) مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام: أنور الجندي ص١٩٥ (القرآن وعلم النفس) ص٢٤٩.

(٢) دع القلق وأبدأ الحياة: ديل كارينجي ترجمة عبد المنعم الزيادي: ص٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨، ٣٠١.

(٣) المرجع السابق: ص٢٨٦.

وقع فريسة المرض؛ لأنه فقد ذلك الشيء الذي تمنحه الأديان"[1].

وأكدت نتائج دراسة (روث آن فنك) هذه الحقيقة: حيث ذكر٧٠٪ من أفراد عينة دراسته أن العقيدة الدينية منحتهم راحة العقل، وذكر ٦١٪ أن العقيدة تجعلهم يشعرون بالأمن والأمان، وذكر ٨٢٪ أنه يمكنهم دوماً الاتجاه إلى الله عندما يكونون في ضيق، وذكر ٨٥٪ أن العقيدة تعينهم على أن يكونوا أشخاصاً أفضل، وذكر ٧٨٪ أن إدراكهم بأن الله دائماً معهم يشعرهم بالأمان"[2].

وقال (ديل كارينجي): إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا هذه الأمراض"[3].

هذا ما قاله علماء الغرب عن أهمية الإيمان في تحقيق الأمن النفسي، وهم بلا ريب لا يقصدون بالدين: دين الإسلام، ولا بالإيمان: إيمان المسلمين، إنهم يقصدون الجوانب والأحوال الروحية التي يعيشها أرباب الديانات الأخرى، المحرفة والباطلة!!!، فما بالنا لو اطلعوا على دين الإسلام عن قرب وعايشوا تعاليمه ومنهجه، ماذا عساهم أن يقولوا؟!!!

---

(١) القرآن وعلم النفس: د/ محمد عثمان نجاتي ص ٢٤٨.

(٢) الحاجة إلى الإيمان وأثره على الأمن النفسي : د/ سميرة بكر ص ١٠٤.

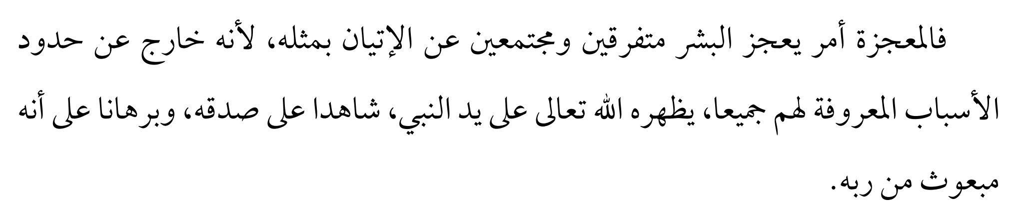
(٣) المرجع السابق: ص ١٠٣.

المبحث الثاني
معجزات الأنبياء السابقين وتحقيق الأمن النفسي

اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام بمعجزات تكون حجة وبرهانا على صدقهم فيما يبلغون عنه سبحانه وتعالى.



وقد عرف العلماء المعجزة بأنها: "أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه"(١).



فالمعجزة أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، لأنه خارج عن حدود الأسباب المعروفة لهم جميعا، يظهره الله تعالى على يد النبي، شاهدا على صدقه، وبرهانا على أنه مبعوث من ربه.

وكانت معجزة كل نبي مناسبة لعصره، ومن جنس ما برع فيه قومه، وقد وقع التحدي لهم جميعا فرادى ومجتمعين؛ لتقوم عليهم الحجة من كل باب، وقد قامت، فلم تثبت منهم أي معارضة، والقرآن الكريم شاهد على ذلك، بل كان منهم العجز التام ممن جحد وعاند، والتسليم الكامل والإذعان والقبول ممن صدق وآمن؛ لأن المعجزة أعظم وأقوى وسيلة للإقناع، ولا يسع عاقل بعد معاينتها إلا أن يعلن إيمانه، إلا أن يكون جاحدا؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: ١٣ – ١٤].

يبعث الله تعالى النبي إلى قومه، وهو المعروف فيهم منذ نشأ إلى يوم مبعثه بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، فيخبرهم أنه مبعوث إليهم من قبل الله عز وجل، ليعبدوه وحده لا شريك له، ويتبرؤوا من عبادة كل ما سواه، ويخبرهم أن آية صدقه فيما يدعيه أن يؤيده الله

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: ١/ ٧٣، ويراجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٤/ ٣. ويراجع: شرح المقاصد للتفتازاني: ٣/ ٧٦.

تعالى بأمر خارق للعادة، يغير الله تعالى به سنة من سنن كونه، يأتيهم النبي بهذا الأمر العجيب خارقا لعادات البشر، لكنه من جنس ما هم فيه بارعون، وعليه قادرون، ويتحداهم فرادى ومجتمعين أن يأتوا بمثل ما أُيِّد به، يتحدى المعاندين وهم أحرص الناس على معارضته وتعجيزه، وإذا هم جميعا عاجزون تمام العجز عن الإتيان بمثل ما أتاهم به، مع أنهم أمة وهو فرد، ومع أنه قد جاءهم من باب هم له متقنون وبه مشهورون، وترك لهم الفرصة كافية لمعارضته؛ فحينئذ لا يسع عاقل متحرر من هوى نفسه وطغيانها إلا أن يذعن ويقبل، ويعلن إيمانه فرحا مسرورا.

ولقد كان لمعجزاتهم عليهم السلام من الآثار العظيمة ما لا يخفى، حيث أثمرت أمنا في النفوس واطمئنانا في القلوب، فلم تكن مجرد انتصار منهم على المعاندين من أقوامهم أو إفحامهم، ولم يكن هذا من غاياتها أو أهدافها، بل كانت طريقا واضحة، وحججا دامغة؛ لأجل هدايتهم، والأخذ بأيديهم من مستنقعات الكفر والضلال إلى نور الإيمان، على يد أرأف خلق الله بعباده، من بعثهم الله تعالى ليدعوا الناس بالقول اللين والحكمة والموعظة الحسنة، كانت حججا محملة بالإيمان داعية إليه من أقرب طريق.

ولهذا كانت المعجزات سببا مباشرا في زيادة إيمان المؤمنين، ورسوخ يقينهم بربهم، وبلسما ودواء شافيا لمن في قلوبهم مرض أو ريب أو قلق أو اضطراب، فأثمرت فيهم جميعا أمنا في النفوس واطمئنانا في القلوب جعلهم في أعلى درجات الإيمان واليقين، حتى هانت عليهم الدنيا بما فيها، بل هانت عليهم أرواحهم في سبيل دينهم، لما تحققوا به من الثبات النفسي والاطمئنان القلبي.

ولنأخذ على ذلك شاهدا بمعجزة العصا لسيدنا موسى عليه السلام وما صنعته في سحرة فرعون:

فإنهم لما عاينوا تلك المعجزة أثمر الإعجاز في نفوسهم سكينة، وفي قلوبهم طمأنينة، وفي

صدورهم انشراحا، فضحوا بمناصبهم وأموالهم، بل ضحوا بأرواحهم، وأعلنوا إيمانهم.

قال الله تعالى في سياق قصة موسى -عليه السلام- واصفا هذا المشهد العظيم، في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٣ – ٥١].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾



لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[الأعراف: ١١٣ – ١٢٦].

وقال تعالى في سورة طه: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه: ٦٥ – ٧٣].

لقد جاء أولئك السحرة إلى هذا اللقاء الحاسم وتلك المناظرة الفاصلة وهم أحرص الناس على الفوز فيها، والظفر بما وعدوا به من حظوظ الدنيا، فهم الموعودون بالأجر الوفير والحظوة والقرب من فرعون؛ ومن هو فرعون؟! إنه أقوى ملك على وجه الأرض في عصره، ولهذا أعدوا عدتهم على أكمل ما يستطيعون، وحضروا لهذا المشهد العظيم وهم على أعلى درجة من الأهبة والاستعداد، وجماهير الناس حضور في انتظار انتصارهم وفوزهم، حتى لقد أوجس في نفسه موسى عليه السلام لَمَّا ألقى السحرة عصيهم ورأى الناسَ قد فزعوا من هول ما صنع السحرة، فخشي عليه السلام أن ينخدع الناس بهم وينصرفوا قبل مشاهدة المعجزة.

وما أن شاهد أولئك السحرة المعجزة وعاينوها حتى زالت كل شبهة كانت في قلوبهم، وأيقنوا من أول وهلة أن موسى عليه السلام صادق فيما يبلغ عن ربه، حتى إنه من شدة ما نزل بهم من اليقين لم يسعفهم القول كي ينطقوا بلفظ الإيمان؛ فخروا سجدا لله رب العالمين رب موسى وهارون، ثم أظهروا الإيمان باللسان.

إنه الإيمان حين تلامس أنواره خلجات النفوس، وتخالط بشاشته حنايا القلوب.



اطمأنت أفئدتهم، وسكنت نفوسهم، واستقر اليقين في شغاف قلوبهم، واستصغروا كل شيء واحتقروه أمام عظمة وجلال الإيمان، حتى فرعون احتقروه، وهم أعرف الناس به وبجبروته وانتقامه، احتقروه ولم يعيروه اهتماما، وصدعوا بكلمة الحق في وجهه دون خوف أو قلق أو وجل أو اضطراب ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (٤٦) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٤٨) ﴾ [الشعراء: ٤٦ – ٤٨].

قال صاحب الكشاف: "سبحان الله! ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقائين"(١).

أما فرعون فقد توعدهم أشد الوعيد، وألقاه على مسامعهم على رؤوس الأشهاد، زيادة في التهديد والتنكيل، لعلهم يرجعون، حيث قال لهم: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) ﴾ [طه: ٧١]، وقال أيضا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) ﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤].

توعدهم فرعون – عليه اللعنة – بالتعذيب والتمثيل بهم أحياء حتى الموت، ويا له من وعيد شديد تنهار أمامه كل القوى، ولو أنه توعدهم بالقتل فقط فثبتوا على الإيمان لقلنا شجاعة نادرة، أما وإنه توعدهم بتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، أي بقطع إحدى اليدين وإحدى الرجلين، ثم الصلب حتى الموت، فثبتوا!!، إنه لإيمان لا يهتز ويقين لا يتزعزع، تقف دونه كل شجاعة.

توعدهم فرعون بهذا الوعيد الرهيب فما زادهم ذلك إلا ثباتا على الإيمان. وعلى رؤوس

(١) الكشاف: ٣/ ٧٥.

الأشهاد أيضا ردوا عليه في اطمئنان نفس ورباطة جأش ويقين قلب، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢، ٧٣]، وقالوا أيضا: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[الأعراف: ١٢٥، ١٢٦]، وقالوا أيضا: ﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥٠ – ٥١].

صغرت الدنيا في أعينهم، فهانت عليهم، وخرجت من قلوبهم، وطلقوها طلقة بائنة، وآثروا ما عند الله تعالى، وسألوه سبحانه أن يفرغ عليهم صبرا، وأن يثبتهم على الإيمان، وأن يغفر لهم ما سبق من الخطايا والذنوب، وأن يتوفاهم مسلمين، وسلموا أمرهم لله رب العالمين، ولم يجزعوا أو يضطربوا مما توعدهم به فرعون. وسياق الآيات يدل على أنهم قد بقوا على ثباتهم حتى لاقوا ذلك المصير!!!. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء"(١).

إنه الاستقرار النفسي والهدوء القلبي الذي أثمره الإعجاز في قلوبهم ونفوسهم، ولولا هذا الإعجاز الذي عاينوه ما وصلوا لهذه الدرجة العليا من الإيمان والثبات النفسي والانفعالي حتى أخذوا هذا القرار المصيري العصيب، وإلا فقد دعاهم موسى عليه السلام إلى الإيمان من قبل وما أعاروه انتباها، بل ناصبوه العداء.

وخلاصة القول: أن معجزة العصا لموسى عليه السلام قد حققت في وقتها الأمن النفسي لدى أمهر المعاندين، فما بالنا بعامة الناس الذين لولا خوفهم من فرعون وحاشيته لأعلنوا إيمانهم جميعا!؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ

(١) الأثر: أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/ ٣٦. عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

ﭐلۡمُفۡسِدِينَ ٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ ﴾[يونس: ٧٩ – ٨٣].



وهكذا حققت كل معجزة من معجزات الأنبياء السابقين الأمن النفسي في وقتها، وللقوم المقصودين بها.

المبحث الثالث
أثر إعجاز القرآن في تحقيق الأمن النفسي



تمهـــــــيد:

تبين مما سبق أن معجزات الأنبياء السابقين كانت سببا في تحقيق الأمن النفسي، غير أنه كان أمنا وقتيا ومحدودا، كان وقتيا في عصره فقط، ومحدودا بأولئك القوم، ولمن رأى منهم المعجزة، أما من غاب عنها فلم تكن حجة عليه، ولم يتأثر بها، حتى إنهم بعد فترة نسوا المعجزات، وحرفوا الكتب؛ لأن الحجـة غابت عن الحس، وما غاب عن الحس غاب عن النفس، يمثلهم في ذلك قوم سيدنا موسى عليه السلام، الذين رأوا المعجزة وآمنوا، لكنهم بمجرد عبورهم البحر معه مروا على قوم يعبدون الأصنام، فتناسوا كل شيء، وقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] !!!!.

ولهذا انتهت معجزات الأنبياء السابقين بانتهاء زمانهم، ولم يبق لها أثر أو خبر صحيح إلا في كتاب الله تعالى.

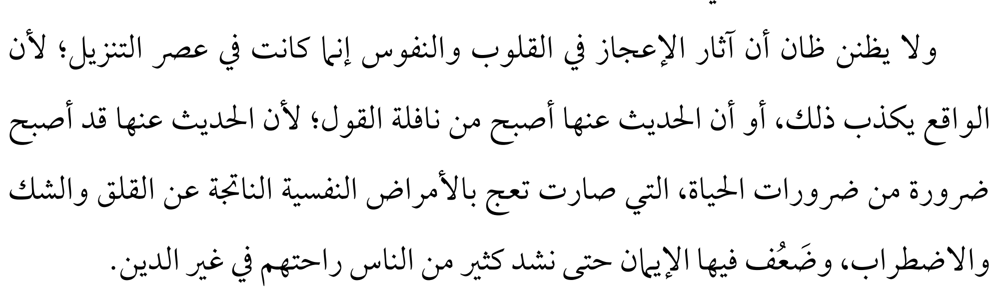
أما القرآن الكريم فإن الأمر فيه مختلف تماما؛ إنه كتاب الرسالة العامة للثقلين، الخاتمة لكل الرسالات، الذي تكفل منزله سبحانه بحفظه، وضم إليه معجزته، فجعله الدعوة والمعجزة، ولم يكن ذلك لأي كتاب سبق.

"فمن عِظَمِ قدر القرآن الكريم أن الله تعالى خصه بأنه الدعوة والحجة، ولم يكن هذا لنبي قط، إنما يكون لكل منهم عليهم الصلاة والسلام دعوة، ثم يكون له حجة غيرها، وقد جمعهما الله تعالى لرسوله ﷺ في القرآن، وكفى الدعوة شرفًا أن تكون حجتها معها، وكفى حجتها شرفًا ألا تنفصل عنها"(١).

(١) الإسلام دين الله تعالى وفطرته التي فطر الناس عليها لأبي العزائم: ص٩٩. ويراجع: أسرار القرآن له: ٦/ ٧، ٨، ٤٣، ٩/ ٢١٣٦.

فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى، وإعجازه قائم عليه ما تعاقب الليل والنهار، ووجوه الإعجاز متجددة، ولا يبلى منها قديم، بل يتجدد ما ظهر منها، ويظهر كل يوم منها جديد.

وعليه: فإن الآثار العظيمة لهذا الإعجاز الباقي والمتجدد باقية ومتجددة أيضا، وعلى رأسها: تحقيق الأمن النفسي.



ولا يظنن ظان أن آثار الإعجاز في القلوب والنفوس إنما كانت في عصر التنزيل؛ لأن الواقع يكذب ذلك، أو أن الحديث عنها أصبح من نافلة القول؛ لأن الحديث عنها قد أصبح ضرورة من ضرورات الحياة، التي صارت تعج بالأمراض النفسية الناتجة عن القلق والشك والاضطراب، وضَعُف فيها الإيمان حتى نشد كثير من الناس راحتهم في غير الدين.

ومن نعم الله تعالى أن جعل وجوه إعجاز القرآن متعددة ومتجددة، لا تبلى ولا تنتهي، ولا تنتهي عجائبها وأسرارها وآثارها، لتبقى الرسالة محروسة بالمعجزة، فلأهل اللغة فيه وجوه إعجاز، ولأهل التشريع فيه وجوه إعجاز، ولأهل التاريخ فيه وجوه إعجاز، ولأهل العلوم المادية فيه وجوه إعجاز، .... وهكذا... لأن المخاطبين به مختلفون في الأجناس والعلوم والمعارف والأزمان والأماكن، فلهذا كان القرآن الكريم معجزا من كل جهة، لأنه آخر إرسال السماء لهدي الأرض.

وأجزم القول بأن الوقوف على وجوه إعجاز القرآن الكريم والعلم بها يحقق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي والراحة والسكينة، وهذا من شأنه أن يزيد ويعمق إيمان المؤمنين، ومن شأنه أيضا أن يفضي إلى إيمان غير المؤمنين، إذا استقامت الفطرة، وصفت النفس وتنزهت عن الجحود والنكران.

وفيما يأتي أسوق بعض النماذج والشواهد على أثر إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي:

شواهد ونماذج على أثر إعجاز القرآن في تحقيق الأمن النفسي:

لقد كان – وما زال – للقرآن الكريم أعظم الأثر في كل من سمعه أو قرأه من الإنس والجن، من العرب والعجم، من المؤمنين به والجاحدين له؛ أمنا يملأ القلوب، وسكينة تغشى النفوس، واطمئنانا يشرح الصدور، وذاك أثر من آثار إعجازه، كيف لا، وقد قال الله تعالى عنه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الحشر: ٢١].

والمعنى: "من شأن القرآن وعظمته، وجودة ألفاظه، وقوة مبانيه، وبلاغته، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض لرأيته مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم خاشعا متصدعا، أي: متشققا من خشية الله سبحانه، حذرا من عقابه، وخوفا من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله، وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علو شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب"(١).

ذكر أبو عبيد أن أعرابيًا سمع رجلاً يقرأ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[الحجر: ٩٤] فسجد، وقال: سجدت لفصاحته، وسمع آخر رجلاً يقرأ:﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ [يوسف:٨٠] فقال: أشهد أن مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام(٢).

وفيما يأتي أذكر إن شاء الله بعض الشواهد والنماذج لأثر إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي، في قلوب المؤمنين به والجاحدين له.

والعجيب أن الآثار المسندة في هذا الباب على أهميته قليلة جدا، ولا ضير في ذلك، فإن القرآن موجود بين أظهرنا، وإعجازه باق ومتجدد، والتحدي به قائم ما تعاقب الليل والنهار، والمتأثرون بإعجازه لا ينتهون، حتى صار ذلك أمرا معلوما بالضرورة، وهذا في حدا

---

(١) فتح القدير للشوكاني: ٥/ ٢٤٦.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض: ١/ ٢٦٢.



ذاته خير دليل وبرهان.

أولا: أثر إعجاز القرآن في تحقيق الأمن النفسي عند المشركين:

لقد بلغ من تأثير القرآن الكريم في نفوس العرب من المشركين أنهم لم يستطيعوا – مع شدة حرصهم على الجحود – إخفاء ما أدركوه من إعجازه؛ فنطقت ألسنتهم بالحق رغما عنهم، فهم معدن البلاغة، وأئمة البيان، وفرسان الكلام، وجهابذة الفصاحة، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه، وقد سجل التاريخ شهاداتهم.

حيث تذكر كتب التاريخ والسير وغيرها ما كان لإعجاز القرآن الكريم من أثر فيهم أول ما قرعت آياته مسامعهم، فسيطر على قلوبهم ونفوسهم، فأَمِنت واطمأنت وسكنت للحظات، ولولا جحودهم ونكرانهم لآمنوا أجمعين، فمع ما حكاه الله تعالى عنهم من نهيهم عن سماع القرآن وتواصيهم باللغو فيه في قوله ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ [فصلت: ٢٦] إلا أن جلاله وعظمة إعجازه قد تركا فيهم أثرا سجله التاريخ، شهادات حق ممن آمن منهم، وممن لم يؤمن.

(أ) شواهد لأثر الإعجاز فيمن بقي على شركه ولم يسلم:

لقد هال المشركين إعجاز القرآن الكريم، في فصاحته التي لم يعرفوها، وبيانه الذي لم يألفوه، فهزهم هزا عنيفا، وأقض مضاجعهم، وهزمهم هزيمة نكراء، مع أنهم العرب الخلص، الذين لا يشق لهم غبار في الفصاحة البيان!!!، فنطقت ألسنتهم بالحق رغم الجحود، مترجمة عما هالهم من الهيبة والجلال، وما عاينوه من الروعة والبيان، ومن أولئك:

١- أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق:

تذكر كتب السيرة أن ثلاثتهم قد تسللوا ليلا منفردين، مختفين عن الأعين، على غير موعد، ليستمعوا لتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلّي من الليل في جوف بيته، حتى أخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه، ولا يعلم أحدهم بمكان صاحبه، ومن شدة وقع

القرآن الكريم في نفوسهم باتوا ليلهم كله وهم يستمعون القرآن!!!، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق وتلاوموا، فقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا ليلتهم أيضا كاملة يستمعون القرآن!!!، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوّل مرّة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل واحد منهم مجلسه، فباتوا ليلتهم أيضا كاملة يستمعون القرآن!!!، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألّا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرّقوا.

فلما أصبح الأخنس ذهب إلى أبي سفيان يسأله عما سمع فقال خيراً، ثم خرج حتى أتى أبا جهل فدخل عليه فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه(١).

كانت هذه قصة أولئك النفر من قريش أهل الفصاحة وفرسان البيان مع القرآن الكريم، والسؤال الآن: ما الذي جعل أولئك العرب الخلص من المشركين المعاندين يبيتون ثلاث ليال لا تكتحل فيها أعينهم بنوم يستمعون القرآن؟ ما الذي أثر فيهم حتى فارقوا فراشهم وظلوا يتلذذون بسماع القرآن الكريم طيلة الليالي الثلاث؟ والجواب واضح، إنه الإعجاز، إعجاز

---

(١) القصة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة: في جماع أبواب المبعث، باب: اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز، وأنه لا يشبه شيئا من لغاتهم، مع مونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان: ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧، وذكرت في السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣١٥، ٣١٦، والخصائص الكبرى للسيوطي: ١/ ١٩٢، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي: ٢/ ٣٥٢.

القرآن الكريم الذي طمأن قلوبهم وأمن نفوسهم فظلت الليل كله تستمع القرآن، إنها بلاغة القرآن التي بلغت الحد الخارق لعادات الإنس والجن، إنه الإعجاز الذي سيطر على قلوبهم وأفئدتهم، ولكن يا لخيبتهم!! منعهم عن الإيمان الكبر والجحود.

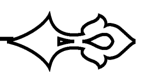
٢- الوليد بن المغيرة:

وهو من أشد المشركين عنادا وأذى، والمقدم في قريش بلاغة وفصاحة، يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرأ عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، ومن جمال القرآن وروعته وهيبته يقول الوليد: أعد، فيعيده النبي صلى الله عليه وسلم، فينطق الوليد بالحق الأبلج، ويقول قولته المشهورة: (والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر)، فلما بلغ ذلك أبا جهل أتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، فقال الوليد: لِمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرَّض لما قِبَلَه[١]، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا! قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟!، (فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته!!). قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه!!. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره!! فَنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر: ١١][٢].

---

(١) أي: أتيت محمدا تريد شيئا من العطاء من جهته.

(٢) القصة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة: في جماع أبواب المبعث، باب: اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز: ٢/ ١٩٨، ١٩٩، وذكرت في السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٧٠،

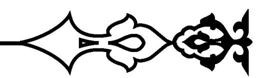


وواضح أثر إعجاز القرآن الكريم في هذا المشرك، إن شهادته تدل صراحة على اطمئنان قلبه وسكون نفسه لهذا الإعجاز الذي أدركه بفطرته البليغة الفصيحة، فنطق بها لسانه، ولكن لأنه من أهل الشقاء ما لبث لحظات حتى تراجع عن قوله عنادا وجحودا.

٣- عتبة بن ربيعة:

وهو من سادة قريش، أرسلته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليساوموه على أن يدع ما هو عليه ويترك دعوته على أن يقدّموا له ما يشاء ... حتى إذا فرغ من مساومته قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوقد فرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم قال: (فاسمع مني) قال: أفعل، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ [فصلت: ١ – ٥]. فلما سمعها عتبة أنصت إليه، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع السجدة منها فسجد وسجد معه عتبة، ثم قال له: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر

٢٧١، والخصائص الكبرى للسيوطي: ١/ ١٨٨، والمواهب اللدنية للقسطلاني: ٢/ ٢٤٣، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي: ٢/ ٣٥٤.





على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم"[1].

وهكذا لم يملك عتبة بن ربيعة أن يكتم ما عرفه من إعجاز القرآن أول ما هجم على قلبه فاطمأن به، فاعترف أمام سادة قريش وكبرائهم بإعجاز القرآن الكريم وأثره في نفسه وقلبه، فللقرآن على القلوب والنفوس سلطان خاصّ لا يقاوم، متى خُلّي بينها وبينه ولو للحظات، لكنه الكفر الذي ركبوه، والكبر الذي أعمى بصائرهم عن الإيمان.

(ب) شواهد لأثر الإعجاز فيمن ترك الشرك وأسلم:

لا يشك باحث أن إعجاز القرآن قد طمأن قلوب أولئك الذين آمنوا من المشركين، وحقق في نفوسهم أمنا لولاه ما أسلموا، ولا سلموا قيادهم للنبي صلى الله عليهم وسلم.

ولا ريب أن شواهد ذلك كانت أكثر من أن تحصى؛ ضرورة أن من آمن من أولئك العرب الأقحاح لم يؤمن إكراها أو تقليدا أو اتباعا من غير حجة أو برهان، وهم فرسان البلاغة وأرباب الفصاحة والبيان، وقد عاصروا التنزيل، وكانوا أول من تحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

لقد بهرهم إعجازه فآمنوا مقتنعين أنه وحي إلهي معجز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، اطمأنوا إلى إعجازه فسكنت نفوسهم، وأيقنوا أنهم في يد أمينة لا تَكْذبهم في شيء، ولا تريد لهم إلا الخير، فقدموا بطولات في التضحية بالنفس والمال عدم نظيرها في تاريخ البشر. وهذه شواهد موجزة تبين ذلك الأثر:

---

(١) القصة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة: في جماع أبواب المبعث، باب: اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز: ٢/ ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥.

السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٩٤، والخصائص الكبرى للسيوطي: ١/ ١٩١، ١٩٢، والمواهب اللدنية للقسطلاني: ٢/ ٢٤١، ٢٤٢، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي: ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧.



١- سبب إسلام جبير بن مطعم:

ورد في الحديث الصحيح عن جبير بن مطعم قال: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٧] قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ) (١). أي: قارب قلبه الطيران لَمَّا سمع هذه الآيات؛ لما تضمنته من بليغ الحجة(٢)، "وكان جبير إذ ذاك مشركًا، جاء في فداء أسارى بدر"(٣).

٢- سبب إسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تذكر كتب التاريخ والسير في قصة إسلامه رضي الله عنه ما كان من تأثره بإعجاز القرآن الكريم من أول لحظة قرع فيها سمعه، وما حل به من الأمن والاطمئنان والراحة والسكينة، وهو الشديد القوي المهاب في قومه، فدخل في دين الله، وأعز الله به الإسلام، رضي الله عنه .

فيُذكر في بعض الروايات أنه رضي الله عنه خرج يتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه قائم يصلّي يقرأ سورة الحاقة، فجعل يعجب من تأليف القرآن وحسن نظمه، فرقّ له قلبه وبكى، ودفعه ذلك إلى الإسلام فأسلم(٤).

قال ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية: فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس): ٦/ ١٤٠، ح(٤٨٥٤).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني: ٧/ ٣٥٨.

(٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري للكوراني: ٢/ ٣٩٥.

(٤) القصة أخرجها: أحمد في مسنده: ١/ ٢١١، ح(١٠٤)، وذكرها: الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٦٢، ح(١٤٤٠٥) وقال: رجاله ثقات، إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر، والذهبي في تاريخ الإسلام: ١/ ١٠٤، وابن هشام في السيرة النبوية: ١/ ٣٤٦- ٣٤٨، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٩٠.

هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[1].

ويُذكر في بعضها أنه رضي الله عنه خرج يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له: أفلا رجعت إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ وأخبره أن ختنه وابن عمه سعيد بن زيد وأخته فاطمة بنت الخطاب قد أسلموا، فرجع رضي الله عنه إليهم، وكان عندهم خباب بن الأرتّ معه صحيفة فيها آيات من سورة طه يقرؤونها، فلمّا دخل قال: ما هذا الذي سمعت؟ وقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بسعيد، فقامت فاطمة تدافع عن زوجها فلطمها حتّى سال الدم من وجهها، وعندها أعلماه أنهما قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، وليصنع ما بدا له، فلمّا رأى رضي الله عنه ما بأخته ندم على ما صنع، وطلب الصحيفة ليقرأ ما فيها، فطلبت منه أخته أن يغتسل، فقام واغتسل، فأعطته إياها، وفيها: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ١ – ٦]. فلما قرأها رضي الله عنه هدأت ثورته، وذابت حِدّته، وسطع أمامه نور المعجزة بما لا يستطيع دفعه، وقال: (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه[2].

والله أعلم أي ذلك كان، وقد ذكرت القصة لبيان ما عساه أن يكون قد وقع من سيدنا عمر رضي الله عنه إبان إسلامه تأثرا بإعجاز القرآن الكريم، الذي طمأن قلبه وهدأ نفسه وروضها بعد أن كانت شديدة قاسية.

٣- سبب إسلام الطفيل بن عامر رضي الله عنه:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/ ٢٣٣.

(٢) القصة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة: في جماع أبواب المبعث، باب: إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرأ القرآن، وعلم إعجازه: ٢/ ٢١٦، ٢١٧.

تذكر كتب السيرة في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي أن إعجاز القرآن قد طمأن نفسه وملك عليه قلبه، فإنه لما قدم مكة وعرفت قريش مكانته حذرته تحذيراً شديداً من سماع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى بلغ به الأمر إلى أن حشا القطن في أذنيه؛ لكي لا يسمع النبي صلى الله عليه وسلم. يقول الطفيل: "فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته... يقول: فعرض عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت، وشهدت شهادة الحق[1].

٤- سبب إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ:

تذكر كتب السيرة أيضا ما كان لإعجاز القرآن الكريم من أثر في نفس أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ.

فقد وقف أسيد بن حضير على مصعب وأسعد بن زرارة فقال: "ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع؛ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره. قال: أنصفت. ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن. فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين. ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن: سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٨٢، ٣٨٣.

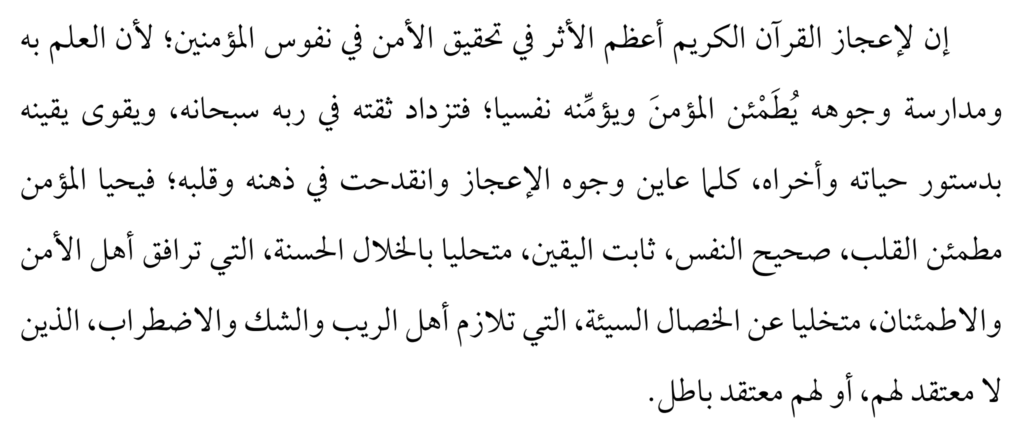
وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، قال: فقام سعد مغضًبا مبادراً تخوفًا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتمًا ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: لقد جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال: فقال له مصعب: أو تقعد، فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتهلله، ثم قال لهما: وكيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله. قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٣٥- ٤٣٧.

فهؤلاء العرب الخلص قد أسلموا اختيارا بمجرد استماعهم للقرآن الكريم، وما ذاك لشيء إلا لإدراكهم روعة إعجازه، وبديع أسلوبه وبيانه، وهم الأعداء الألداء، فلولا أن نفوسهم اطمأنت وأحست بالأمان، ما تركت الشرك واختارت الإسلام.

ثانيا: أثر إعجاز القرآن في تحقيق الأمن النفسي للمؤمنين:



إن لإعجاز القرآن الكريم أعظم الأثر في تحقيق الأمن في نفوس المؤمنين؛ لأن العلم به ومدارسة وجوهه يُطَمْئِن المؤمنَ ويؤمِّنه نفسيا؛ فتزداد ثقته في ربه سبحانه، ويقوى يقينه بدستور حياته وأخراه، كلما عاين وجوه الإعجاز وانقدحت في ذهنه وقلبه؛ فيحيا المؤمن مطمئن القلب، صحيح النفس، ثابت اليقين، متحليا بالخلال الحسنة، التي ترافق أهل الأمن والاطمئنان، متخليا عن الخصال السيئة، التي تلازم أهل الريب والشك والاضطراب، الذين لا معتقد لهم، أو لهم معتقد باطل.

ولست مبالغا إن قلت: إن إعجاز القرآن الكريم هو مصدر الأمن والأمان والاطمئنان، ضرورة أن الإنسان لا يطمئن لدين لا حجة عليه!!! فإذا كانت الحجة قائمة أبد الدهر تحرس هذا الدين؛ فهاهنا الأمن والأمان، ولا حجة لأحد في عدم الإيمان طالما بلغته الدعوة.

ولما كانت وجوه إعجاز القرآن لا تخلق على كثرة الرد، ولا تنتهي عجائبها مهما نهل منها العلماء، كان إعجاز القرآن مبعث الأمن والأمان في نفوس المؤمنين في كل عصر ومصر، حتى يأتي القرآن يوم القيامة غضا نضرا طريا كالبكر التي لم يمسها أحد.

ومن صور هذا الأمن النفسي الذي يحققه الإعجاز في قلوب المؤمنين ما يأتي:

١ – زيادة الإيمان:

وفيها يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢** ﴾ [الأنفال: ٢]، ويقول عز وجل: ﴿ **وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤** ﴾

[التوبة: ١٢٤].

والتلاوة: هي القراءة واستظهار ما يحفظه التالي من كلام له أو لغيره يحكيه لسامعه، وآيات الله: القرآن، سميت آيات، لأن وحيها إلى النبي الأمي صلى الله عليه وسلم وعجز قومه، خاصتهم وعامتهم عن الإتيان بمثلها، فيه دلالة على صدق من جاء بها، فلذلك سميت آيات"[1].

ومعنى ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: زادتهم يقيناً وطُمأنينةَ نفسٍ، وانشراح صدر، وانثلاج خاطر، فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين[2].

قال ابن كثير عند تفسيره للآية الأولى: "وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد"[3].

فحين يستمع المؤمنون – كلٌّ على حسب درجته من الإيمان- إلى آيات القرآن بتدبر وتفكر تسكن نفوسهم، وتطمئن قلوبهم، وتنشرح صدورهم؛ فيزداد إيمانهم ويقينهم بهذا الدين الحنيف؛ بسبب ما تتضمنه الآيات من الإعجاز في شتى الوجوه، والقرآن معجز من كل وجه.

٢- اطمئنان القلوب:

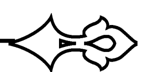
واطمئنان القلوب أيضا صورة من صور الأمن النفسي عند المؤمنين، تتحقق هذه الصورة بالقرآن الكريم، استماعا وتلاوة وتدبرا، يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم

---

(١) التحرير والتنوير: ٩/ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٤/ ٤، وفتح القدير للشوكاني: ٢/ ٣٢٦، ونظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٢٢٠، والسراج المنير للخطيب الشربيني: ١/ ٥٥٣، ومحاسن التأويل للقاسمي: ٥/ ٢٥٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١٠.



﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]. قال مجاهد وقتادة: تطمئن قلوبهم بالقرآن الكريم(١).

والمعنى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ أي: تستقر قلوبهم وتسكن ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المروي عن مقاتل، وإطلاق الذكر على ذلك شائع في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾[الأنبياء: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. وسبب اطمئنان قلوبهم بذلك: علمهم أن لا آية أعظم منه، ولهذا لا يقترحون الآيات التي يقترحها غيرهم. والعدول إلى صيغة المضارع: ﴿تَطْمَئِنُّ﴾ مرتين في الآية لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده، وأنه لا يتخلله شك ولا تردد. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وحده ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ لله دون غيره(٢).

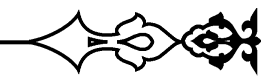


ويصح أن يراد بذكر الله هنا ما يشمل القرآن الكريم، ويشمل ذكر الخالق عز وجل باللسان، فإن إجراءه على اللسان ينبه القلوب إلى مراقبته سبحانه كما يصح أن يراد به خشيته سبحانه ومراقبته بالوقوف عند أمره ونهيه. إلا أن الأظهر هنا والأوفق بالسياق أن يراد به القرآن الكريم؛ لأنه الأنسب للرد على المشركين الذين لم يكتفوا به معجزة دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم، وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم في الآية السابقة: : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧﴾ [الرعد: ٢٧](٣).

٣- السجود لله، والتسبيح بحمده، والتواضع له تعالى، وقيام الليل، والإنفاق في سبيله

---

(١) النكت والعيون للماوردي: ٣/ ١١٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩/ ٣١٥.
(٢) روح المعاني للآلوسي: ٧/ ١٤١. بتصرف يسير.
(٣) التفسير الوسيط للشيخ سيد طنطاوي: ٧/ ٤٧٨. بتصرف يسير.





سبحانه:

وهذه أيضا صور من صور الأمن النفسي عند المؤمنين، تتحقق بسبب اطمئنان نفوسهم لهذا الكتاب المعجز، الذي لولا ثقتهم فيه ما صدرت عنهم هذه الأفعال والأقوال، التي تدل على الانقياد التام رغبة وحبا.

وفي ذلك يقول الله تعالى﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٦].

والمعنى: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا، ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾: بادروا إلى السجود مبادرة من كأنه سقط من غير قصد، خضوعاً لله، وتذلُّلا له، واستكانة لعظمته، وإقرارا له بالعبوديَّة ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد، ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ يقول: يفعلون ذلك، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستنكفون عن التذلُّل له والاستكانة.

وقوله تعالى:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: تتنحَّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون عليها لمنامهم، ولا ينامون ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه[1].

٤- قشعريرة الجلود، ولين الجلود والقلوب:

وهذه الأحوال لا تصدر إلا من نفوس أدركت إعجاز القرآن الكريم، فسكنت إليه

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢٠/ ١٧٧، ١٧٨. بتصرف يسير.

واطمأنت به، وتأثرت قلبا وقالبا بوعده ووعيده، وبشارته ونذارته، وترغيبه وترهيبه، وظهرت عليها أمارات ذلك، فاقشعرت جلودهم في مواطن الترهيب خوفا ووجلا، ثم لانت جلودهم وقلوبهم في مواطن الترغيب رغبة ورجاء. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

والمعنى[١]: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: اللهُ نزَّل القرآن العظيم أحسن الكلام، والابتداءُ باسم «اللهُ» وإسناد «نزَّل» لضميره، فيه تفخيمٌ للمُنزل، ورفعٌ لقدره. ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ "متشابها" صفة لـ "كتابا"، والمعنى: قرآنا يشبه بعضه بعضا في الحسن والإحكام وصحة المعاني، وقوة المباني، وبلوغه إلى أعلى درجات البلاغة. ﴿مَّثَانِيَ﴾ صفة أخرى لـ (كتابا): أي تثنى، أي تكرر فيه القصص، وتتكرر فيه المواعظ والأحكام، والأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج. وقيل: يثنى في التلاوة فلا يمل سامعه ولا يسأم قارئه.

﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ الاقشعرار: هو أن يلحق الجسم قشعريرة، وهي الرعدة النافضة للجسم من تذكر شيء مهيب أو هجومه، وهو التقبض، يقال اقشعر جلده: إذا تقبض وتجمع من الخوف[٢]، وهو هنا كناية عن الخوف الشديد من الله تعالى، والمعنى: تعتري هؤلاء المؤمنين خشيةٌ، وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة آيات القرآنُ، هيبةً من الرحمن وإجلالاً لكلامه. "إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، ثم تلين

(١) يراجع: جامع البيان: ٢١/ ٢٧٨- ٢٨١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٥/ ٢٤٨- ٢٥٠، وفتح القدير للشوكاني: ٤/ ٥٢٦، ٥٢٧، وغيرها من كتب التفسير.

(٢) الدر المصون للسمين الحلبي: ٩/ ٤٢٣، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ له أيضا: ٣/ ٣٠٩.



جلودهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة"(١).

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: تطمئن وتسكن قلوبهم وجلودهم عند سماع آيات الرحمة والإحسان. قال ابن كثير: "هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، إذا قرؤوا آيات الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر جلودهم من الخشية والخوف، وإذا قرؤوا آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه"(٢). ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: ذلك القرآن الذي تلك صفاته هو هدى الله يهدي به من يشاء أن يهديه من عباده. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أي: ومن يخذله اللهُ فيجعل قلبه قاسياً مظلماً، فما له من هاد يهديه إلى الحق، ويخلصه من الضلال.

ثالثا: أثر إعجاز القرآن في تحقيق الأمن النفسي للجن:

لما كانت رسالة الإسلام عامة للثقلين الإنس والجن كان جميع المكلفين منهم مخاطبين بالقرآن الكريم، ولهذا كان لإعجازه أثر في نفوس الجن كما كان له أثر في نفوس الإنس، وقد وردت نصوص قرآنية تثبت ذلك الأثر، ومنها:

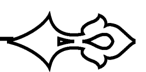
- قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فهذا النص الكريم يصور حال أولئك النفر من الجن وهم يستمعون إلى القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم أدق تصوير وبيان، حيث يبين ما نزل بقلوبهم من السكينة وما حل بأنفسهم من الأمن والاطمئنان والخشوع فجعل يحث بعضهم بعضا على الإنصات، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ منتبهين حتى النهاية، لجلال وروعة وهيبة ما سمعوا.

---

(١) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٤١٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/ ٣٥٢، ومعاني القرآن للنحاس: ٦/ ١٦٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم" ٧/ ٨٤.



ثم يبين قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ نتيجة هذا الأمن والاطمئنان الذي ملك قلوبهم، فيصور مدى نشاطهم وسرعتهم في إبلاغ قومهم بقوله: ﴿وَلَّوْا ﴾ حيث لم يطيقوا انتظارا أو تمهلا في إبلاغهم وإنذارهم، وهذا إنما يدل على ما امتلأت به نفوسهم من الثبات وقلوبهم من اليقين، بسبب ما هالهم من روعة إعجاز القرآن وجلاله.

- وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ١ – ٢]

تصور هاتان الآيتان الكريمتان وما يتلوهما مدى استجابة الجن وإقرارهم بعظمة القرآن الكريم عند استماعهم له، حيث قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ "أي في فصاحة كلامه، وقيل: عجبا في بلاغته وفصاحته ومواعظه، قيل: قرآنا عزيزا لا يوجد مثله"(١). وقيل: "بديعاً خارجاً عن عادة أمثاله من جميع الكتب الإلهية فضلاً عن جميع الناس في جلالة النظم وإعجاز التركيب"(٢)، ولهذا هز إعجازه مشاعرهم وملك قلوبهم، فاطمأنت إليه، وامتلأت يقينا به، ولم تحتمل صبرا، بل سارعت فأعلنت إيمانها بالله من فورها، وهو ما يوحي به التعبير بالفاء في ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾، وهذا ما يفعله إعجاز القرآن من الأمن في النفوس والقلوب حين تصفو من كدر الحياة وتترفع عن متعها الزائلة.

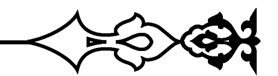
<u>رابعا</u>: أثر إعجاز القرآن في تحقيق الأمن النفسي عند غير المسلمين في العصر الحديث:

كما كان لإعجاز القرآن أثر عظيم في هداية السابقين فإن له أعظم الأثر في هداية اللاحقين، بل إنه يزداد يومًا بعد يوم، فتأثير الإعجاز ليس مقصورا على العرب الذين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٩/ ٧. باختصار.

(٢) السراج المنير للخطيب الشربيني: ٤/ ٣٩٨.



يفهمون لغته ويدركون إعجازه البياني؛ بل إنه يشمل جميع الإنس والجن، في كل عصر ومصر.



نرى ذلك لدى غير المسلمين من غير العرب في العصر الحديث، عصر التقدم العلمي والتقني، ويدلنا عليه مواكب العلماء والباحثين وعامة الناس الذين يقبلون على الإسلام كل يوم مهتدين بأنواره، منبهرين بهذا الكتاب المعجز، الذي اشتمل على وجوه متعددة من الإعجاز لا تبلى ولا تنتهي.

والناس مختلفون في جهات تأثرهم بإعجاز القرآن، فمنهم من يقنعه إعجازه البياني، ومنهم من يسيطر عليه إعجازه التشريعي، ومنهم من يبهره إعجازه العلمي، ومنهم من يجذبه إعجازه التاريخي، ومنهم من يعجبه إعجازه النفسي، وهكذا .... لكل إنسان مشرب ومورد، والقرآن الكريم يحوي كل ذلك وزيادة.

وهذه شواهد ونماذج لأناس حقق لهم إعجاز القرآن أمنا نفسيا فأسلموا:

١- عالم الرياضيات الدكتور/ "جاري ميلر"(١):

هو المبشر الكندي النشيط، وأستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو، قرر أن يقدم خدمة جليلة للمسيحية بالكشف عن الأخطاء العلمية والتاريخية في القرآن الكريم، بما يفيده وزملاؤه المبشرين عند دعوة المسلمين للمسيحية.

لكنه بعد دراسة محايدة ومتأنية ومتدبرة للقرآن الكريم سكنت نفسه واطمأن قلبه لما أذهله وأبهره من إعجازه في شتى النواحي التاريخية والعلمية وغيرها، فأعلن إسلامه، وألف كتابه الشهير "القرآن المذهل"، وكان مما أثبته فيه من شواهد الإعجاز:

- أن القرآن الكريم لم يذكر الأحداث العصيبة التي مرت بالنبي صلى الله عليه وسلم مثل وفاة زوجته خديجة أو وفاة بناته وأولاده، بل الأعجب أن الآيات التي نزلت تعقيباً على

(١) يراجع كتابه: القرآن المذهل، ترجمة وإصدار موقع نصرة رسول الله WWW.rasoulallah.net.

بعض النكسات في طريق الدعوة، كانت تبشر بالنصر، وتلك التي نزلت تعقيباً على الانتصارات كانت تدعو إلى عدم الاغترار والمزيد من التضحيات والعطاء. ولو كان أحد يؤرخ لسيرته لعظم من شأن الانتصارات، وبرر الهزائم، ولكن القرآن الكريم جاء على العكس تماماً، لأنه لم يؤرخ لفترة تاريخية بقدر ما قدم التوجيهات الإلهية والدروس والعبر والمواعظ[1].

– وتعليقاً على قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود: ٤٩] تعقيباً على بعض القصص القرآني، يذكر ميلر: أنه لا يوجد كتاب من الكتب الدينية المقدسة يتكلم بهذا الأسلوب، إنه يمد القارئ بالمعلومة، ثم يقول له هذه معلومة جديدة!! هذا تحد لا مثيل له؟ ماذا لو كذبه أهل مكة – ولو بالادعاء – فقالوا: كذبت كنا نعرف هذا من قبل. ماذا لو كذبه أحد من الباحثين بعد ذلك مدعياً أن هذه المعلومات كانت معروفة من قبل؟ ولكن كل ذلك لم يحدث"[2].

– ويرد على الزعم التاريخي الباطل بأن الشياطين هي التي كانت تملي على الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء به، فيبين أن القرآن الكريم يتحدى فيقول: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ – ٢١١]. فهل تؤلف الشياطين كتاباً ثم تقول لا أستطيع أن أؤلفه، أو تقول: إذا قرأت هذا الكتاب فتعوذ مني؟[3].

– وعند قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ: ٤٦]، يشير إلى التجربة التي أجراها أحد الباحثين في جامعة تورنتو عن "فعالية المناقشة الجماعية"، وفيها جمع أعداداً

(١) المصدر السابق: ص١٢ بتصرف.

(٢) المصدر السابق: ص١٨ بتصرف.

(٣) المصدر السابق: ص٢٧ بتصرف.

مختلفة من المناقشين، وقارن النتائج فاكتشف أن أقصى فعالية للنقاش تكون عندما يكون عدد المتحاورين اثنين، وأن الفعالية تقل إذا زاد هذا العدد(1).

٢- "رينيه جينو" الذي صار عبد الواحد يحيى:

هو العالم الفيلسوف الحكيم، الصوفي "رينيه جينو"، الذي يدوي اسمه في أوربا قاطبة، وفي أمريكا، والذي يعرفه كل هؤلاء الذي يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية.

وقد كان إسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر الطاهرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام. وكان سبب إسلامه بسيطا ومنطقيا في آن واحد:

لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس معجز، تطمئن إليه نفسه، فلم يجد –بعد دراسة عميقة– سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل، لأن الله تكفل بحفظه، وحفظه حقيقة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]. لم يجد سوى القرآن نصا مقدسا صحيحا معجزا، اطمأنت إليه نفسه، فاعتصم به، وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفساني في رحاب القرآن"(2).

٣- الفنان الإنجليزي "كات ستيفنز" أو "يوسف إسلام":

هو ذلكم المغني الإنجليزي المشهور، الذي ضربت شهرته الآفاق خلال فترة قصيرة من عمره، ولكنه رفض كل مغريات الحياة بكل شهرتها وشهواتها حين شعر بالقلق والاضطراب، وبدأ يبحث عن الاطمئنان والسكينة النفسية، فاعتزل الناس، وبدأ يبحث عن السعادة التي لم يجدها –كما يقول – في الغنى، ولا في الشهرة، ولا في القمة، ولا في الكنيسة، ولا في البوذية، ولا في الفلسفة الصينية، ولا في الشيوعية، ولا في العقاقير المهدئة ولا في أي شيء آخر... لم يجدها إلا في القرآن، ذلكم الكتاب المعجز.

---

(1) المصدر السابق: ص٤٠ بتصرف.

(2) أوربا والإسلام لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود: ص٧٢. بتلخيص واختصار.

يقول: "وفي عام ١٩٧٥م حدثت المعجزة، بعد أن قدم لي شقيقي الأكبر نسخة من القرآن الكريم هدية، فشعرت تجاهه باهتمام بالغ، برغم أني لا أعرف ما بداخله، فأخذت أبحث عن ترجمة لمعاني القرآن الكريم ....".

ثم يقول: "القرآن هو الذي دعاني للإسلام، فأجبت دعوته،... يكفي أني لاحظت في القرآن شيئا غريبا، هو أنه لا يشبه باقي الكتب، ولا يتكون من مقاطع وأوصاف تتوفر في الكتب الدينية التي قرأتها، ولم يكن على غلاف القرآن اسم مؤلف، ولهذا أيقنت أن الوحي الذي أوحي إلى هذا النبي المرسل بهذا القرآن من الله تعالى .... لقد تبين لي الفارق، حيث قرأت الإنجيل الذي كتب على يد مؤلفين مختلفين من قصص متعددة .... حاولت البحث عن أخطاء في القرآن الكريم ولكني لم أجد!! بل كان كله منسجما مع فكرة الوحدانية الخالصة... لقد أجاب القرآن عن كل تساؤلاتي، وبذلك شعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة.... لقد ولدت من جديد".

وعلى إحدى قنوات التليفزيون البريطاني يسأله المذيع أسئلة كثيرة عن الإسلام، فيجيب عنها إجابات رائعة، ومن ذلك: لماذا اخترت الإسلام على غيره؟ فيجيب ببساطة قائلا: "لأنه الدين الحق الأخير، ولأن القرآن حق، ولم يستطع أحد من العلماء أو غيرهم أن يجد أي تناقض في القرآن الكريم، فضلا عن ذلك أنه احتوى على كل شيء يحتاج إليه البشر لهدايتهم"(١).

٤- المهندس الألماني: "يوليوس برتولمبوجين فانجر"(٢):

يتحدث عن رحلته الإيمانية وعن تأثره بإعجاز القرآن الكريم فيقول: "وعند القرآن

(١) يراجع كتاب: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء لمحمد كامل عبد الصمد: ٢/ ١٠٥- ١١٢، نقلا عن المجلة العربية الصادرة في يونيو ١٩٨٦م.

(٢) يراجع كتاب: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء: ٢/ ٧٢، ٧٣.



توقفت كثيرا، فقد مس شغاف قلبي، وتغلغل في وجداني بسهولة ويسر ... لقد وجدت فيه ضالتي والإجابة عن كل مبهم وغامض بالنسبة لي .... فرحت أقرأ وأقرأ .... وعرفت أنه الكتاب الذي لم يدخله التحريف أو التغيير، وإنما هو شيء مختلف تماما، إنه إعجاز، بل هو الإعجاز بعينه، فهو كلام الله سبحانه وتعالى أوحى به إلى محمد خاتم الأنبياء ليهدي العالمين".

٥- بطل العالم في الملاكمة: "كاسيوس كلاي" الذي صار "محمد علي كلاي"[١]:

يحكي رحلته الإيمانية، فيذكر تأثره بإعجاز القرآن الكريم فيقول: "لقد قرأت معاني القرآن مترجمة، فما ازددت مع كل سطر قرأته إلا اقتناعا بأن هذا الدين حقيقة ربانية محال أن يخترعه بشر ... وبدأت أعيش مع القرآن، والفاتحة أول سورة حفظتها منه .... وبدأت رحلة الإسلام التي هي رحلة طمأنينة، ورحلة إيمان يعيشها صاحبها بتعاليم خالقه سبحانه وتعالى".

٦- السيدة الألمانية: "دورنيه أمبغ" التي صارت: عائشة عبد الله[٢]:

تروي ما أحدثه إعجاز القرآن في نفسها من أمن واطمئنان، فتقول:

"إن أعظم ما وجدته في القرآن أن كل مشاكل الحياة النفسية والمادية قد وضع لها حلا مطمئنا، وأعظم تلك الحلول أن القرآن يعلم الإنسان التسليم لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فصرت لا أفارقه ولا يفارقني، وأشعر بآياته تسري في كياني، فتدب الحيوية في عروقي وحياتي كلها .... ولذا لم أجد بدا من اعتناق الإسلام الذي انجذبت إليه، فأشهرت إسلامي، وحملت

---

(١) يراجع كتاب: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء: ١/ ٤٠- ٤٦. نقلا عن مجلة الفيصل – العدد١٧٠، الصادرة في مارس ١٩٩١م.

(٢) يراجع كتاب: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء: ٣/ ١٦٨، ١٦٩. نقلا عن صحيفة المسلمين – العدد الصادرة في ١٠/ ١/ ١٩٩٢م



اسم: عائشة".

٧- بطل الملاكمة العالمي الأمريكي "مايك تايسون"[١]:

يذكر في رحلته الإيمانية ما كان لإعجاز القرآن من أثر عظيم في هدايته لهذا الدين، حيث تبين له بعد بحث وقراءة أن أعظم شيء أقنعه بالإسلام هو أن القرآن الكريم فيه إجابات عن كل الأسئلة عن الحياة والموت، وأن القرآن يحترم اليهودية والمسيحية، في الوقت الذي ينكر فيه اليهود المسيح، والمسيحيون ينكرون الإسلام.

٨- البروفيسور البريطاني "آرثر أليسون" الذي صار عبد الله أليسون[٢]:

حيث كان للإعجاز العلمي في القرآن أثر عظيم في سكون نفسه واطمئنان قلبه وارتياحه لهذا الدين الحنيف، فقد حضر هذا البروفيسور البريطاني "آرثر أليسون": وهو رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن إلى القاهرة عام ١٩٨٥م ليشارك في المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مشاركا ببحثه عن أساليب العلاج النفسي والروحاني في القرآن الكريم، بالإضافة إلى بحث آخر حول النوم والموت والعلاقة بينهما في ضوء الآية القرآنية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢].

والعجيب أنه لم يكن – وقتئذ – قد اعتنق الإسلام، وإنما كانت مشاعره تجاهه لا تتعدى الإعجاب به كدين.

---

(١) يراجع: سلسلة قصص مشاهير المهتدين: العدد ٢٣. الصادرة عن لجنة التعريف بالإسلام بجمعية النجاة الخيرية، بالكويت.

(٢) يراجع: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء: ١/ ١١٥- ١١٨، نقلا وسلسلة قصص مشاهير المهتدين: العدد ٢٣.

وبعد أن ألقى بحثه جلس يشارك في أعمال المؤتمر، ويستمع إلى باقي البحوث التي تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فتملكه الانبهار، وقد ازداد يقينه بأن هذا الدين هو الحق ...



وفي الليلة الختامية للمؤتمر وقف البروفيسور "آرثر أليسون" أمام شاشات وكاميرات مراسلي وكالات الأنباء العالمية، وأعلن أن الإسلام هو دين الحق، ودين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم نطق بالشهادتين.

ثم تناول جزئية من بحثه الذي شارك به في أعمال المؤتمر، والتي دارت حول حالة النوم والموت من خلال الآية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢].

فأثبت أن الآية الكريمة تذكر أن الوفاة تعني الموت، وتعني النوم، وأن الموت وفاة غير راجعة، في حين أن النوم وفاة راجعة، وقد ثبت ذلك من خلال الدراسات الباراسيكولوجية، والفحوص الإكلينيكية من خلال رسم المخ، ورسم القلب، فضلا عن توقف النفس الذي يجعل الطبيب يعلن عن موت هذا الشخص، أو عدم موته في حالة غيبوبته أو نومه.

وبذلك أثبت العلم أن النوم والموت عملية متشابهة، تخرج فيها النفس وتعود في حالة النوم، ولا تعود في حالة الموت كما أخبر القرآن الكريم[1].

٩- البروفيسور "جاناتا جانس"[2]:

وهو من علماء تشريح الأجنة المعدودين في العالم، أعلن إسلامه بعد أن أبهره الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، واطمأنت نفسه إليه، حيث وجد أن ما ورد في القرآن الكريم من

---

(١) يرجع إلى المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم،عام ١٩٨٥م.

(٢) يراجع: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء: ٢/ ١٣٠، ١٣١.

وصف لحالة الجنين في الرحم، منذ النطفة حتى يخرج إنسانا، قد رآه مطابقا لما يقضي به العلم التجريبي المستند إلى المختبرات وغيرها من الأجهزة الحديثة المتقدمة في هذا المجال.

١٠- "ريتشارد فيرلي" كبير مفتشي فرقة مكافحة الإرهاب الأسبق[١]:

حيث كان للإعجاز العلمي أثر في اطمئنان نفسه وانشراح صدره لدين الإسلام، فقد ساقته دراساته في علم الجيولوجيا في جامعة إكستر جنوب غرب بريطانيا إلى الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٦ – ٧]، حيث أثبت العلم أن الجبال أوتاد للأرض، وأنها مغروسة في الأرض لأعماق قد تصل إلى خمسة عشر ضعف ارتفاعها فوق سطح الأرض، وأن لها دورا كبيرا في إيقاف الحركة الأفقية الفجائية لصفائح طبقة الأرض الصخرية!، وهو ما أخبر عنه القرآن الكريم.

١١- العالم الفرنسي الدكتور/ جرينيه[٢]:

كان سبب إسلامه اطمئنان نفسه للإعجاز العلمي في القرآن، فإنه لما سئل عن سبب إسلامه قال: "إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها من صغري، وأعلمها جيدا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنني تيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلم ومدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بها تعلم جيدا كما قارنت أنا لأسلم بلا شك، إن كان عاقلا خاليا من الأغراض".

١٢- العالم اليهودي الدكتور/ نسيم سوسة[١]:

---

(١) يراجع: سلسلة قصص مشاهير المهتدين: العدد ١٧.

(٢) أوربا والإسلام لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود: ، نقلا عن مجلة المنار، مجلد ١٤، ص٥١٨.

حيث انبهر بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم من أول وهلة قرأه فيها، فاطمأنت نفسه وانشرح صدره لهذا الدين.... حيث يقول:

"فامتلكت كلماته فؤادي، وسرت في عروقي سريان الدم في الشرايين .... وأدركت حين قرأته لماذا يشعر اليهودي والنصراني بالارتياب نحو العديد من نصوص التوراة والأناجيل، في حين لا يرتاب المسلم لحظة واحدة في القرآن الكريم .... وأن التوراة والأناجيل كتبت في عصور تالية لنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، وقد حرف الأحبار والرهبان ما نزل على هذين النبيين الكريمين من كلمات، بل تبدلت التوراة وكذا الإنجيل في أكثر من عصر، في حين احتفظ القرآن الكريم بكلماته بدون تحريف أو تبديل"(٢).

ويتحدث عن بدايات خطواته إلى الإيمان وكيف أثر فيه إعجاز القرآن، فيقول: "كنت أطرب لتلاوة آيات القرآن الكريم، وكثيرا ما كنت أنزوي في مصيفي تحت ظل الأشجار، وعلى سفح جبال لبنان، فأمكث هناك ساعات طوالا أترنم بقراءته بأعلى صوتي"(٣).

وبعد، هذه شواهد من الواقع المعاصر تثبت أثر إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي عند أناس من العجم، تحرروا من العصبية، وتنزهوا عن الجحود، وتحلوا بالحيادية المطلقة؛ فأبهرهم إعجازه، فاطمأنت به قلوبهم، وسكنت إليه نفوسهم، وأعلنوا إسلامهم، تاركين وراءهم حياة مملوءة بالمتع والشهوات.

---

(١) عالم يهودي، كان يدرس في الجامعة الأمريكية ببيروت، اعتنق الإسلام، وكشف حقيقة التاريخ المزيف الذي دونه اليهود. يراجع كتاب: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء لمحمد كامل عبد الصمد: ١/ ٢٠١- ٢٠٤.

(٢) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء: ١/ ٢٠١- ٢٠٢، نقلا عن كتاب: في طريقي إلى الإسلام للدكتور/ نسيم سوسة.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٢٠٢.

لقد انتشلهم القرآن من براثن الهوى والملذات، التي لم تجلب لهم إلا القلق والاضطراب، ولم يجدوا فيها أمنا نفسيا ولا راحة ولا اطمئنانا، مع ما هم فيه من رغد العيش، ووفرة الملذات دون حسيب أو رقيب.



انتشلهم القرآن فوجدوا الأمن في رحابه، والطمأنينة في ظلاله، وقد حقق لهم ذلك إعجازه الذي ملك عليهم قلوبهم وعقولهم، ولولا إعجازه ما أمنت نفوسهم ولا اطمأنت قلوبهم.

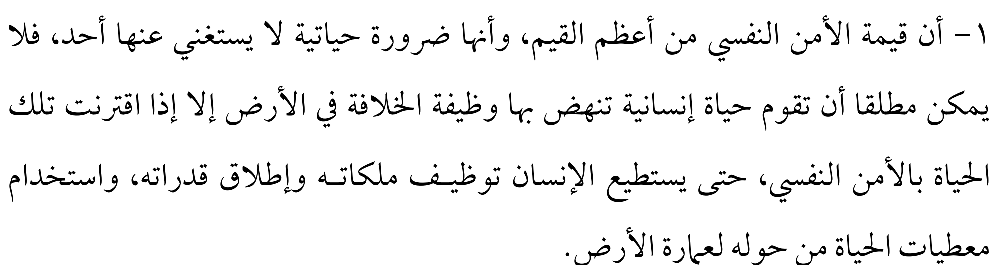
الخـــاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنور هديه تتبدد الظلمات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد البريات، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أنجم الهدايات، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين. وبعد،



فقد انتهيت بحمد الله تعالى وتوفيقه من هذه الدراسة: (إعجاز القرآن الكريم وأثره في تحقيق الأمن النفسي) وتوصلت إلى النتائج الآتية:

١- أن قيمة الأمن النفسي من أعظم القيم، وأنها ضرورة حياتية لا يستغني عنها أحد، فلا يمكن مطلقا أن تقوم حياة إنسانية تنهض بها وظيفة الخلافة في الأرض إلا إذا اقترنت تلك الحياة بالأمن النفسي، حتى يستطيع الإنسان توظيـف ملكاتـه وإطلاق قدراته، واستخدام معطيات الحياة من حوله لعمارة الأرض.



٢- أن توفير الأمن النفسي للفرد والمجتمع من شأنه أن ينشر الاطمئنان النفسي والراحة القلبية التي تبعث على الحب والتفاؤل والعمل والاجتهاد في كل النواحي الإيجابية.

٣- أن توفير الأمن النفسي من شأنه أن يحفظ النفس من القلق والاضطراب واليأس والقنوط والإحباط، وسائر الأمراض النفسية التي تعصف بالفرد والمجتمع.

٤- أن توفير الأمن النفسي من شأنه أن يحقق الثبات والاستقرار في التفكير، ومردود ذلك على الفرد والمجتمع عظيم جدا.

٥- أننا بحاجة ماسة إلى تحقيق الأمن النفسي في عصرنا الذي يعج بالأمراض النفسية الناتجة عن القلق على الحاضر والخوف من المستقبل.

٦- أن الأمن النفسي لا يتحقق إلا بالإيمان بالله تعالى واتباع منهجه، وأن الأمم التي عملت على تحقيقه عن طريق توفير أكبر قدر من ماديات الحياة ورفاهيتها بمنأى عن دين الله تعالى لم تنجح في ذلك، وكثرت فيها حوادث الانتحار، والأمراض النفسية.

٧- أن معجزات الأنبياء السابقين كانت سببا في تحقيق الأمن النفسي، غير أنه كان أمنا وقتيا في عصره فقط ومحدودا بأولئك الأقوام، حتى إنهم بعد فترة نسوا المعجزات، وحرفوا الكتب؛ لأن الحجة غابت عن الحس، وما غاب عن الحس غاب عن النفس.

٨- أن إعجاز القرآن الكريم باق ببقاء القرآن نفسه، والقرآن محفوظ بحفظ الله تعالى وباق أبد الدهر، ولذلك فإن وجوه إعجازه متجددة في كل عصر، ولا يبلى منها شيء. فالقرآن هو الدعوة والمعجزة.

٩- أن الوقوف على وجوه إعجاز القرآن والعلم بها يحقق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي والراحة والسكينة تجاه دستور هذا الدين؛ لأن النفوس متى أدركت وجوه الإعجاز وآمنت بها نقلها ذلك الإيمان من حالة الشك إلى حالة اليقين، ومن حالة القلق إلى حالة السكينة، وهذا من شأنه أن يزيد إيمان المؤمنين، وأن يفضي إلى إيمان غير المؤمنين، إذا استقامت الفطرة، وصفت النفس وتنزهت عن الجحود والنكران.

١٠- أن شواهد الواقع من يوم نزول القرآن الكريم إلى يومنا هذا تثبت أثر إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي لكل الداخلين في الإسلام.

١١- أننا بحاجة ماسة إلى العلم بإعجاز القرآن الكريم، ومدارسة وجوهه، حتى تزداد النفوس المؤمنة أمنا وسكينة، واطمئنانا ويقينا، ويتجدد إيمانها بهذا الدين، فتتمسك به وتعمل على رفعته ونصرته، وينشأ الجيل محبا لدينه ووطنه، وينتشر في المجتمع هذا الجو من الصحة النفسية، ويصبح مجتمعا آمنا سليما معافى لا يخشى فوات الرزق، ولا يخاف الموت، بل يكد ويجتهد متوكلا على مولاه، راض بما قسمه له، صابرا على البلاء، متفانيا في خدمة دينه ووطنه.

وبناء عليه: أوصي بالآتي:

١- أن تهتم الدوائر التعليمية في أزهرنا الشريف (في المعاهد والجامع والجامعة) بتدعيم دراسة إعجاز القرآن الكريم بالنماذج والشواهد الواقعية في القديم والحديث، وبيان آثار

الإعجاز في أمن النفوس والقلوب، حتى يتم الربط بين العلم والواقع.

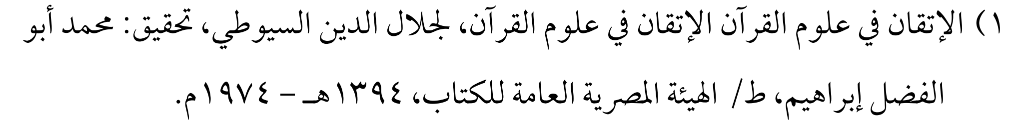
٢- أن يقوم الدعاة بواجبهم في هذا الأمر، فيبنوا للناس وجوه إعجاز القرآن الكريم بطريقة تطبيقية سهلة، تزرع في الناس حبهم لهذا الدين واعتزازهم به وتمسكهم بدستوره العظيم، ليقوى يقينهم به واطمئنانهم إليه، فيقبلوا على تنفيذ منهجه بحب قلبي ورضا نفسي وسعادة روحية، وينتشر الأمن النفسي في المجتمع، ويحيا حياة هادئة مستقرة.

هذا، والله من وراء القصد، والله تعالى أسأل أن ينفعني بهذا العمل، وأن ينفع به كل من يقرؤه، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله في الأولى والآخرة. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب التفسير وعلوم القرآن:





١) الإتقان في علوم القرآن الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للإمام أبي السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي– بيروت - بدون تاريخ

٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٤) التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٥) تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: للدكتور سيد طنطاوي، ط/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م.

٨) الجامع لأحكام القرآن: للإمام القرطبـي، تحقيق: أحمد البردوني، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط، ط/ دار القلم، دمشق.

١٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الآلوسي البغدادي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ه.

١١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للخطيب الشربيني، طبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥هـ.

١٢) الظاهرة القرآنية، للأستاذ/ مالك بن نبى، ترجمة الدكتور/ عبد الصبور شاهين، ط دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

١٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للإمام الشوكاني، ط/ دار ابن كثير، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ.

١٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للإمام الزمخشري، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٠٧ه.

١٦) محاسن التأويل: للإمام القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

١٧) معاني القرآن: للإمام أبي زكريا الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين، ط/ الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الأولى.

١٨) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط/ جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٩) معاني القرآن وإعرابه: للإمام أبي إسحاق الزجاج تحقيق: د/ عبد الجليل عبده شلبي، ط/ عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.معترك الأقران

٢٠) المفـردات في غريب القرآن: للإمام الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط/ دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزُّرْقاني، ط/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة. بدون تاريخ.

٢٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٣) النكت والعيون: للإمام أبي الحسن الماوردي البصري، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

ثالثا: كتب الحديث الشريف وشروحه:

٢٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ط/ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، السابعة، ١٣٢٣هـ.

٢٥) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: للحافظ أبي بكر البيهقي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٠٥ه.

٢٦) صحيح البخاري: للإمام البخاري، تحقيق: د/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/ دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢ه.

٢٧) صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٢٨) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط/ مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٣٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

خامسا: كتب السيرة والتاريخ:

٣١) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط/ دار الغرب الإسلامي، الأولى، ٢٠٠٣م.

٣٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز، الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٣) الخصائص الكبرى للسيوطي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٣٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٥) السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط/ مصطفى البابي الحلبي، مصر، الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٣٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، مع حاشية الشمني، ط/ دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٧) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني، ط/ المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، بدون تاريخ.

٣٨) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء لمحمد كامل عبد الصمد، ط/ الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

سادسا: كتب التراجم والطبقات:

٣٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ المكتبة العصرية – لبنان – صيدا. بدون تاريخ.

٤٠) سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزميله، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، التاسعة ١٤١٣ه.

٤١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط/ دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٢) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤١٣هـ.

٤٣) طبقات المفسرين للسيوطى تحقيق: علي محمد عمر، ط/ مكتبة وهبة – القاهرة، الأولى، ١٣٩٦ه.

٤٤) وفيات الأعيان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط/ دار صادر – بيروت- لبنان ١٩٩٧م.

سابعا: كتب العقيدة:

٤٥) الإسلام دين الله تعالى وفطرته التي فطر الناس عليها لأبي العزائم، ط/ دار المدينة المنورة، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٦) شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين التفتازاني، ط/ دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

ثامنا: كتب المعاجم واصطلاحات الفنون:

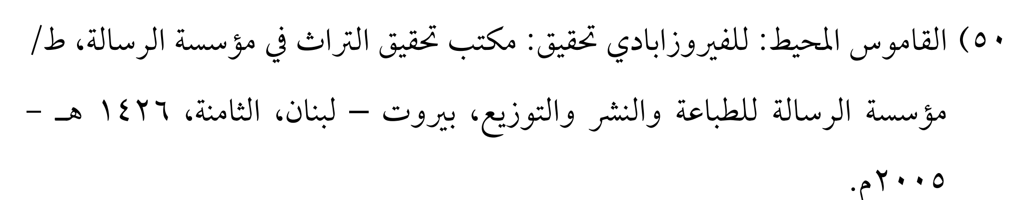
٤٧) التعريفات: للإمام علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى، بيروت، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.





٤٨) التوقيف على مهمات التعريف: لزين الدين المناوي القاهري، ط/ عالم الكتب، القاهرة، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٩) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ترجمة: حسن هاني فحص، ط/ دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



٥٠) القاموس المحيط: للفيروزابادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٥١) لسان العرب- للإمام محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط/ دار صادر، بيروت، ط/ ١، بدون تاريخ.

٥٢) مختار الصحاح: لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط/ المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٣) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

تاسعا: كتب علم النفس والأمن النفسي في القرآن:

٥٤) أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي: للباحثة: ناهد الخراشي، نشر موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على شبكة المعلومات (الإنترنت)، **www.quran-m.com**

٥٥) الأمن النفسي في القرآن الكريم وأثره على فكر الإنسان، للدكتور/ عبد الله بن محمد الجيوسي. بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري «المفاهيم والتحديات» في



الفترة من٢٢- ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

٥٦) الأمن النفسي للدكتور محمد موسى الشريف، ط دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، الثانية، ٢٠٠٣م.

٥٧) الأمن النفسي وعلاقته بالتحصيل لدى طلاب رعاية الأيتام بالرياض، رسالة دكتوراه للباحث: عبد الله حميد حمدان السهلي، كلية الدراسات العليا بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية.

٥٨) أوربا والإسلام لشيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم محمود، ط/ دار المعارف، بالقاهرة، الرابعة، بدون تاريخ.

٥٩) بعض المتغيرات الديموغرافية المرتبطة بالأمن النفسي للدكتور: محمد جبر، بحث منشور بمجلة علم النفس العدد ٣٩ المجلد العاشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٦٠) دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي للدكتور: حامد عبد السلام زهران، ط عالم الكتب، بالقاهرة، ٢٠٠٢م.

٦١) دع القلق وأبدأ الحياة: للمؤلف (ديل كارينجي) ترجمة عبد المنعم الزيادي، الطبعة السادسة عشر، بدون دار نشر أو تاريخ.

٦٢) دور الجامعات الفلسطينية في تحقيق الأمن النفسي لدى الطلبة بمحافظة غزة) للدكتور عبد الكريم سعيد المدهون. بحث منشور بمجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات – العدد السادس– يناير ٢٠١٤م.

٦٣) دور الجامعات الفلسطينية في تحقيق الأمن النفسي لدى الطلبة بمحافظة غزة، للدكتور عبد الكريم سعيد المدهون، كلية التربية، جامعة فلسطين.

٦٤) سلسلة قصص مشاهير المهتدين، الصادرة عن لجنة التعريف بالإسلام بجمعية النجاة الخيرية، بالكويت.

٦٥) القرآن المذهل، ترجمة وإصدار موقع نصرة رسول الله **WWW.rasoulallah.net**.

٦٦) القرآن والأمن النفسي للدكتور: فهد الرومي، بحث مقدم للمشاركة في (الملتقى العلمي الرابع للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم). بدولة الكويت، خلال الفترة ١٥-١٨ /٨/ ١٤٢٨هـ الموافق ٢٥-٢٨/ ١١/ ٢٠٠٧م.

٦٧) القرآن وعلم النفس: د/ محمد عثمان نجاتي، ط/ دار الشروق، بالقاهرة، السابعة، ١٣٣١هـ، ٢٠٠١م.

٦٨) مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام: للأستاذ/ أنور الجندي، ط/ دار الاعتصام، بالقاهرة، الأولى، ١٣٣٧، ١٩٧٧م.